مدخـــل
لدراسة علوم القرآن الكريم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين والصلاة والسلام على المبعوث بالقرآن هداية ورحمة للعالمين.أما بعد:

فإن العلوم ، على اختلاف مصادرها وتعدد مناهجها وتنوع مقاصدها يمكن تأطيرها من حيث بناؤها المعرفي ضمن ثلاثة أنواع: علوم شرعية ، وعلوم إنسانية ، وعلوم مادية. ويمكن تصنيفها من حيث وظيفتها المنهجية إلى صنفين : علوم تهتم بجانب الرواية والتوثيق ، وأخرى تهتم بجانب الدراية والتيسير. وهي جميعها رغم اختلاف موضوعها وتنوع وظيفتها متكاملة متضامنة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ويخدم بعضه بعضا وفق نظام دقيق يعكس وحدة الخالق سبحانه. ولئن كانت العلوم كلها مهمة ومفيدة ، فإن علوم القرآن الكريم هي من أجلها وأشرفها بالنظر إلى مصدرها وموضوعها ومقاصدها. فهي بحر زخار لايستطيع أحد أن يجمعها في كتاب، مهما اتسع جهده، وطال عمره . لذلك أجمع المسلمون الأوائل كل قواهم, وكرَّسُوا جُلَّ حياتهم لترتيب مباحث علوم القرآن بحسب أهميتها, وبحسب صلة بعضها ببعض، أو تقارُب بعضها من بعض، مع الاقتصار على ما تكون إليه الحاجة ماسَّة والضرورة إليه ملحة. وهكذا قويت العزائم، وتبارت الهمم، ونشأت علوم جديدة للقرآن الكريم ، وظهرت مؤلفات في كل نوع منها، لهذا اشرأَبَّت أعناق العلماء أن يعتصروا من تلك العلوم علمًا جديدًا يكون كالفهرس لها، والدليل عليها والمتحدِّث عنها، فكان هذا العلم هو ما نسميه "علوم القرآن" بالمعنى المدوَّن. ثم تتابع

الغيث من بعدهم إلى يومنا هذا، يفتح للباحثين في كتاب الله تعالى أبوابًا واسعة من العلم والمعرفة, ويتيح لهم أن ينهلوا من معينه ما شاء الله أن ينهلوا في سهولة ويسر، ولا سيما بعد أن تقدَّمت أدوات الطباعة ووسائل النشر.

ولعل هذه الدراسة على لطافة حجمها وتواضع صاحبها قد تضمنت معالجة جادة وجريئة لأهم مباحث علوم القرآن ، اشتملت على منهجية يحتاجها المبتدئ في الدراسات القرآنية ، وقد لا يستغني عنها المنتهي .وإن نفع العلم بدرايته لا بروايته.

وحيث إن هذه الدراسة موجهة ، بالأصالة إلى طلاب سلك الإجازة من شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. فإنها تروم تحقيق المقاصد التالية:

– الإلمام ببعض أنواع علوم القرآن الكريم التي تمكن الطالب من الفهم السليم للقرآن الكريم .

– تزويد الطالب بالحقائق والمعطيات التاريخية التي تمكنه من الوقوف على جهود علماء الأمة في حفظ كتاب الله من التغيير والتبديل بما يزيد من يقينه وإيمانه وحبه لكتاب ربه عز وجل .

– تشجيع الطالب على تعلم القرآن الكريم ثم تعليمه ، تلاوة وتدبرا وامتثالا، ونشر علومه والدفاع عنه.

ومعلوم أن التمكن من علوم القرآن رواية ودراية له فوائد جليلة من جوانب عديدة أبرزها ما يلي:

1– التمكن من فهم وتدبر القرآن الكريم ، واستنباط أحكامه ، ومعرفة حكمه ، وحل مشكله ، وفهم متشابهه، بصورة صحيحة دقيقة . لأنه لا يمكن أن يفهم القرآن

ويفسره من لا يعرف نطقه، ورسمه، وأوجه قراءته، وأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ونحو ذلك , فهو الأساس, والمفتاح لفهم القرآن الكريم.

2- زيادة الثقة واليقين بهذا القرآن العظيم ، خاصة لمن يتعمق في معرفة إعجازه، وأحكامه، وحكمه، ويقف على دقيق أسراره، إذ الجهل بمثل هذه العلوم يجعل المسلم عرضة للشبهات التي يقصد من ورائها زعزعة اليقين.

3- معرفة الجهود العظيمة ـ الممتدة عبر التاريخ وفي أمكنة مختلفة ـ التي بذلها العلماء لخدمة هذا الكتاب ، ودور هذه الجهود في حفظه من التغيير والتبديل من جهة، و تيسير فهمه من جهة أخرى.

4- التزود بالعلوم الضرورية التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد ما يتعرض له من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

5- ترسيخ ثقافة الطالب بالمصدر الأول لدينه ، وأعظم ما يملكه في وجوده ، إذ ينبغي لكل مسلم أن يأخذ حظه من القرآن الكريم مهما كان تخصصه، ومهنته، وحرفته .

6- نيل الأجر والثواب ، إذ تعلم مثل هذه العلوم من أوسع أبواب العبودية لله تعالى .

7- تطهير القلب ، وتهذيب النفس ، وزيادة الإيمان، إذ تعلم علوم القرآن يربط المسلم بصورة قوية بكتاب الله الذي أنزله الله شفاء للناس ورحمة .

علوم القرآن: المفهوم والنشأة والتطور

مفهوم علوم القرآن:

علوم القران مركب إضافي يتكون من مضاف وهو "علوم" ومضاف إليه وهو "القرآن ."و في الاصطلاح له معنيان : إطلاق عام يشمل كل العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم ، وإطلاق خاص باعتباره عَلما على علم معين يشتمل على مسائل ومباحث مخصوصة تتصل بالقرآن الكريم . وقبل الشروع في تعريف علوم القرآن "بالمعنى الاصطلاحي التدويني" يحسن بنا تعريف كل جزء من هذا المركب أي "علوم" و "القرآن." على حدة أولًا، ثم نبيّنُ معنى كلمة علوم مضافة إلى القرآن الكريم .

تعريف العلوم:

"العلوم" جمع علم وهو في اللغة: نقيض "الجهل"[1]وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة واليقين على الجملة، وبينها فروق دقيقة تُطْلَبُ من كتب فقه اللغة، مثل كتاب "الفروق اللغوية" لأبي هلال العسكري وغيره.

وأما في الاصطلاح فقد تنوع تعريف العلم تبعا لتنوع الحقول المعرفية [2] :فالفلاسفة يعرفون العلم بأنه حصول صورة الشيء في الذهن[3]. والمتكلمون يعرفونه بأنه صفة توجب لمحلها تمييزا لا يحتمل النقيض[4]. فانطباع الصورة في الذهن بأن القرآن لكريم منه ما هو مكي ومنه ما هو مدني يسمى علما. وكذلك إذا علم الإنسان أن القرآن قد نزل خلال

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب مادة (علم) ج 12 ص 417

[2] – التعريفات للجرجاني ص 199–200، ط دار الكتاب العربي بيروت 1992.

[3] – إتقان البرهان في علوم القرآن، للدكتور فضل حسن عباسي 42/1، ط دار الفرقان عمان – الأردن 1997م.

[4] – المرجع السابق

ثلاث وعشرين سنة، هذا هو معنى قولهم: إن العلم هو حصول صورة الشيء في الذهن. و إذا كانت القضيتين المذكورتين "كون بعض القرآن نزل في مكة وبعضه نزل في المدينة ونزوله في ثلاث وعشرين سنة " راسختين ومتميزتين في الذهن غير مختلطين بغيرهما من المسائل والقضايا يمكن الجزم بهما بحيث لا يحتملان نقيضا بمعنى أنه لا يمكن أن يقال – مثلا– أن القرآن نزل في خمسين سنة. وهذا معنى قول المتكلمين في تعريف العلم بأنه صفة توجب لمحلِّها تميزا لا يحتمل النقيض .

ويطلق العلم أيضا على المسائل المتحدث عنها في فرع معين من فروع المعرفة، كمسائل علم النحو. مثل قولنا: الفاعل مرفوع, والمضاف إليه مجرور .ومسائل علم الفقه: كقولنا الصلاة فرض والربا حرام. ومن هذا الباب يمكن القول بأن علوم القرآن هي المسائل التي يبحث فيها تحت هذا العنوان كالقول بأن أول ما نزل من القرآن هي الآيات الأولى من سورة العلق, وأن النسخ رفع كلام شرعي بدليل شرعي, وأن القرآن الكريم متواتر.

والعلم باعتباره مصدرا ، يصح إطلاقه على المفرد والجمع، تقول: تلقيت العلم في جامع القرويين، تعني :علم التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والصرف، وغير ذلك من أنواع العلم.

وإن أريد الكثرة، جمع على علوم، ولهذا سميت المباحث القرآنية: "علوم القرآن" لكثرتها وتشعُّب مسائلها. كما يقول الفقهاء في كتبهم: "باب البيع"، فإن أرادوا الكثرة قالوا: "باب البيوع."

ويطلق العلم في لسان الشرع العام على معرفة الله تعالى وآياته، وأفعاله في عباده وخلقه.قال تعالى : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)[1]

تعريف القرآن في اللغة

أما لفظ "القرآن" في اللغة، فقد تباينت أقوال العلماء في تحديد دلالته تبعا لاعتبارات مختلفة منها :

- **اعتبار الهمز أو التخفيف** أي كونه مهموزا أو غير مهموز . ومذهب الجمهور انه مهموز. وقيل بالتخفيف دون الهمز ، حسب التفصيل التالي:

فقد قيل بأن لفظ القرآن مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر. وينسب هذا القول للإمام أبي الحسن الأشعري[2].

وقيل: إنه مشتق من القرائن لأن الآيات يصدق بعضها بعضا وتتشابه. وينسب هذا القول للفراء، والقرطبي[3].

وقيل : إنه مشتق من "القري" وهو الجمع، ومنه قريت الماء في الحوض, أي: جمعته. وينسب الزركشي هذا القول إلى الجوهري.[4]

– **اعتبار الاشتقاق أو الارتجال**، أي كون لفظ القرآن مشتقا من كلمة أخرى، أو كونه اسما علما مرتجلا غير مشتق من شئ آخر. ذهب الإمام الشافعي – رحمه الله– إلى أن لفظ القرآن اسم علم مرتجل غير مشتق وليس مهموزا وهو خاص بكلام الله تعالى

---

[1] – سورة فاطر : **28**

[2] – البرهان في علوم القرآن للزركشي**1/374** والإتقان **1/146.**

[3] – الإتقان **1/146**

[4] – البرهان **1/374.**

المنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– مثل لفظي التوراة والإنجيل1. وقد رجح السيوطي في الإتقان2وكذالك بعض المعاصرين من أهل العلم رأي الأمام الشافعي وسواء كان لفظ القرآن مشتقا أم مرتجلا فهو علم بالغلبة والمعاني الوصفية– على القول باشتقاقه– مراعاة لكونها معاني معقولة وواضحة.

– **اعتبار المصدرية أو الوصفية**، بمعنى هل لفظ القرآن مصدر أو أنه صفة. ومذهب الجوهري, والراغب الأصفهاني، وابن الأثير أن القرآن مصدر على وزن "فعلان" كالرجحان والغفران والتكلان من قرأت، سمي به المقروء من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر, ويعنى ذلك أنه قيل للقرآن قرآنا لأنه مقروء.[3]

وقال الزجاج: إنه وصف على وزن فعلان مشتق من "القرء" بمعنى الجمع[4].

– **اعتبار التعريف أو التنكير** ، أي لفظ "القرآن وقرآن" والفرق بينهما في الاستعمال .

وقد فرق كثير من العلماء بين "القرآن" معرفا و "قرآن" دون تعريف . ويمكن إجمال ما فيل في ذلك في نقطتين:

أولا: إن اللفظ المعرف بـ "ال" لا يصدق إلا على هذا الكتاب المبارك. أما غير المعرف بـ "أل" فقد يراد به القرآن الكريم كقوله تعالى(وقرآنا فرقناه لتقرآه على الناس

---

[1] – مناقب الشافعي للبيهقي 277/1 وتاريخ بغداد للخطيب 62/2

[2] – الإتقان 147/1

[3] – الإتقان في علوم القرآن 1؟144–147

[4] – الإتقان في علوم القرآن .147-144

على مكث ونزلناه تنزيلا[1] وقد يراد به غيره كقوله تعالى :إن علينا جمعه وقرآنه, فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}[2] فكلمة القرآن في هاتين الآيتين لا يقصد بهما القرآن الكريم بل معناه القراءة.

ثانيا: ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن لفظ القرآن معرفا إذا أطلق أريد به القرآن الكريم كله كقوله تعالى: (إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم)[3] ولا يطلق على بعض القرآن إلا مقيدا كقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: " زوجتكها بما معك من القرآن".وقوله عز وجل. وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به :و قول بعض أهل العلم : "يحرم على الجنب والحائض قراءة القرآن". فالقرآن هنا يصدق على أبعاض مخصوصة. أما لفظ القرآن منكرا فيصدق على الكل والبعض على السواء, بمعنى أنه إذا أطلق لا يقصد به مجموع القرآن كله إلا إذا دلت القرائن على ذلك. والخلاصة: أن لفظ القرآن معرفا يراد به مجموع القرآن، ويطلق على الأبعاض بقرائن, فإن لم يكن معرفا كان إطلاقه على الكل وعلى الأبعاض سواء . ويتبين من استقراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أن لفظ القرآن يطلق فيها حينا على المجموع وحينا على الأبعاض.

ويبدو أن الراجح من الأقوال– والله أعلم– هو رأي الجمهور القائل بأن لفظ القرآن مصدر في الأصل كالغفران والشكران وهو عَلَم على هذا الكتاب الكريم من باب

---

[1] – الإسراء : آية **106.**

[2] – القيامة : آية **17–18.**

[3] – – الإسراء: آية **9**

إطلاق المصدر على اسم المفعول.[1] يُقَال: قرأ يقرأ قراءة، وقرآنًا. قال تعالى في سورة القيامة: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[2].

ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجُعِلَ اسمًا للكلام المعجِزِ المنزَّلِ على النبي –صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله.فالقرآن على هذا يكون بمعنى المقروء. وهذا ما اختاره أكثر العلماء استنادًا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق. أما القول بأنه وصف من القرء –بسكون الراء– بمعنى الجمع، فهو قولٌ ليس براجح، وكذلك قول من قال: إنه مشتق من قرنت الشيء، أو أنه مرتجل, أي: موضوع من أول الأمر علمًا على الكلام المعجِز المنزَّل، فكل ذلك –كما يقول الزرقاني– لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة "[3].

قال رحمه الله تعالى : "أما لفظ القرآن في اللغة فمصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) ثم نقل هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي–صلى الله عليه وسلم – من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني وأصحابه[4]"

تعريف القرآن في الاصطلاح:

---

[1] – إتقان البرهان 48/1.

[2] – القيامة : آية 17–18

[3] – مناهل العرفان في علوم القرآن 7/1..

[4] – المرجع نفسه .

القرآن في اصطلاح العلماء مأخوذ من خصائصه ومقاصده الكبرى. وأشهر تعريف له قولهم: القرآن كلام الله المعجِز، المنزَّل على محمد –صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المُتعبَّد بتلاوته.

فقولنا :القرآن كلام الله, قد يُرَاد به الكلام النفسيّ, وقد يُرَادُ به الكلام اللفظي – ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم– فالمتكلمون يطلقون كلام الله على الكلام النفسي فقط، ويقررون أنه كلام قديم غير مخلوق، فيجب تنزهه عن الحوادث وأعراض الحوادث، وتجرده عن الحروف اللفظية المتعاقبة المستلزمة لتجدد الزمان والحدوث.

والأصوليون والفقهاء يطلقون القرآن على الكلام اللفظي؛ لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام، وهو لا يكون إلّا بألفاظ، وكذلك علماء اللغة العربية يهتمون بالكلام اللفظي؛ لأن عنايتهم بالإعجاز، وطريقة الألفاظ". وهذا التعريف جمع أشهر خصائص القرآن وأهم مقاصده. وكان بعضها كافيًا في التعريف، فلو قالوا: القرآن كلام الله المعجز. أو قالوا: هو كلام الله المُتعبَّد بتلاوته. أو قالوا: هو كلام الله المكتوب في المصاحف، لكان وافيًا بالمقصود في تحديد ما هو قرآن من غيره، لكنهم أطنبوا في التعريف مبالغة في التوضيح، ورغبةً في ذكر أهم خصائصه ومقاصده، فهو ليس تعريفًا بالمعنى الاصطلاحي الذي يُرَاعَى فيه الاختصار، والاقتصار على ما هو جامع مانع.

ونعرض فيما يلي لنماذج من تعريفات الأصوليين على النحو التالي:

تعريف الإمام الغزالي: "وحدّ الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة نقلا متواترا.[1]

[1] – المستصفى **101/1**.

تعريف ابن قدامة المقدسي: "و أما حدّ الكتاب اصطلاحا فهو الكلام المنزل على الرسول–صلى الله عليه وسلم– المكتوب في المصاحف, المنقول إلينا نقلا متواترا"[1]

تعريف الشوكاني: "وأما حدّ الكتاب اصطلاحا فهو: الكلام المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا"[2].

والملاحظ في هذه التعريفات أن القصد فيها تقريب معنى القرآن وبيان خصائصه . لذلك زاد بعض العلماء على أوصاف الإنزال، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر، الإعجاز[3] أو التعبد بتلاوته[4]، أو الحفظ في الصدور .

ولا مغايرة بين كون القرآن متلو بالألسنة أو مكتوبا في المصاحف، فهما تسميتان لشيء واحد. فالمطلوب كما يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: تغاير المفهوم لا تغاير المصدوق, فإن ما يصدق عليه القرآن هو ما يصدق عليه الكتاب .[5]

ونخلص من هذه التعريفات إلى أن "القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر[6].

---

[1] – روضة الناظر60/61.

[2] – إرشاد الفحول .30-29

[3] – نكت الانتصار لنقل القرآن، للباقلاني. ص 59، ط مكتبة نشأة المعارف بالإسكندرية .

[4] – مناهل العرفان، للزرقاني 1/12–13.

[5] – مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. ص 55, ط دار القلم بيروت.

[6] – نكت الانتصار لنقل القرآن، ص 59 , ط مكتبة نشأة المعارف بالإسكندرية.

فقولنا كلام الله: خرج به كلام الإنس والجن والملائكة، والكلام هو اللفظ المفيد الذي يحسن السكوت عليه ، أي هو القول المفيد للسامع . أما غير المفيد فلا يعد كلاما. قال الناظم رحمه الله :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم

والملاحظ في التعريف انه لم يذكر القول ، لأن القول قد تحصل به الإفادة وقد لا تحصل. أما الكلام فلا يسمى كذلك حتى يكون مفيدا . ولهذا قال سيبويه : ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا : القرآن كلام الله ، ولم يقولوا : القرآن قول الله.

وقولنا المنزل: خرج به ما استأثر الله بعلمه أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر فلله عز وجل كلام أنزله إلى البشر وكلام استأثر بعلمه .والدليل على ذلك قوله تعالى: {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا.[1]وقوله تعالى:{ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات لله[2].

وقولنا على محمد صلى الله عليه وسلم: خرج به كلام الله المنزل على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام, والزبور المنزل على داود عليه السلام, والتوراة المنزل على موسى عليه السلام, والإنجيل المنزل على عسي عليه السلام.

---

[1] – سورة الكهف: الآية **109.**

[2] – سورة لقمان: الآية **27.**

والذي عليه جمهور العلماء . رحمهم الله . أن القرآن الكريم تميز بنوعين من أنواع النزول :

الأول : نزول القرآن جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، في شهر رمضان في ليلة القدر .

الثاني : نزول القرآن منجماً على قلب النبي صلى الله عليه وسلم خلال حوالي ثلاث وعشرين سنة .

ولكل نزول أدلته ، وحكمته لا يتسع المقام لبسطها هنا.

وقولنا المعجز : من العجز وهو زوال القدرة على الإتيان بالشيء . ولا يتحقق الإعجاز إلا بشروط ثلاثة :

الأول : وجود مقتضى التحدي ، أي طلب المغالبة والمنازلة والمعارضة .

الثاني : وجود المقتضى الذي يدعو المتحدي إلى المغالبة والمنازلة والمعارضة

الثالث : انتفاء المانع من المغالبة والمعارضة .

ومعلوم أن القرآن الكريم قد استجمع هذه الشروط الثلاثة .

وقولنا المتعبد بتلاوته: خرجت به الأحاديث القدسية. ونريد بالمتعبد بتلاوته أمرين: أولا: أن القرآن يقرأ في الصلاة ، والصلاة عبادة و هي لا تصح إلا بالقرآن لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[1]

[1] – متفق عليه, البخاري 184/1 ومسلم 295/1.

ثانيا: أن ثواب تلاوة القرآن يفوق ثواب أي تلاوة أخرى. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"[1]

أسماؤه وأوصافه

للقرآن الكريم أسماء كثيرة عد منها الإمام الزركشي خمسة وخمسين اسما. وهناك من بالغ فأوصلها إلى نيف وتسعين اسما، ولكن عند التحقيق يتبين أن بعض ما عدوه أسماء هي في حقيقة الأمر صفات كالحكيم والمجيد والكريم والعزيز, وذي الذكر, والبيان والتبيان والرحمة والشفاء وغيرها[2] .

وفي ما يلي عرض لبعضها:

1-"القرآن" قال تعالى: (ق والقرءان المجيد). وسمي بذلك لأنه يقرأ.

2- "الكتاب" قال تعالى: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) وسمي بذلك لأنه يقرأ ويحفظ في الصدور وأيضاً يُكتب.[3]

---

[1] – أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح 175/5,وأخرجه الدرامي 429/2.

[2] – إتقان البرهان 54/1.

[3] – تنبيه مهم: قد يأتي لفظ الكتاب في القرآن الكريم ويراد به غير القرآن فمن ذلك:

أ/ جاء بمعنى التوراة في قوله تعالى: (ولقد آتينا موسى الكتاب).

ب/ جاء بمعنى الكتابة في قوله تعالى عن عيسى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل

ج/ وجاءت كلمة الكتاب والمراد بها اللوح المحفوظ في قوله تعالى: (إنه لقرءان كريم * في كتاب مكنون) وقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء).

د/ وجاء بمعنى أي كتاب في قوله تعالى: (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب).

هـ/ وجاء بمعنى كتاب الأعمال في قوله تعالى: (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً).

3–" الفرقان" قال تعالى: (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وسمي بذلك لأن الله تعالى فرَّق به بين الحق والباطل، أو لأنه نزل مفرقا.

4– "الذكر" قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

5– "التنزيل" قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك منها:

" نور " (يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً).

و" هدى" و" شفاء" و" رحمة" و" موعظة" (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين).

و" مبارك" (وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ مصدِّقُ الذي بين يديه).

و" مبين" (قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين).

و" بشرى" (مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين).

و" عزيز" (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، وإنه لكتابٌ عزيز).

و" مجيد" (بل هو قرآنٌ مجيد).

و" بشير" و" نذير" (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً

فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ).

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

ذكر العلماء فروقا عدة بين القرآن والحديث القدسي, منها :

1– أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته على الوجهين المذكورين آنفا وهما عدم صحة

الصلاة إلا بتلاوة القرآن وكون ثواب تلاوة القرآن لا يعادله ثواب تلاوة شيء آخر بما فيه الحديث القدسي.

2 – أن القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله ، أما الحديث القدسي فمعناه من الله اتفاقا، وأما لفظه فمحل خلاف بين العلماء.

3 – أن القرآن الكريم معجز متحدى به وليس الحديث القدسي كذلك .

4 – أن القرآن الكريم منقول بالتواتر فهو قطعي الثبوت بسوره وآياته وجمله ومفرداته وحروفه وسكناته وحركاته. أما الأحاديث القدسية فأغلبها أحاديث آحاد.

5 – أن القرآن الكريم لا يجوز مسه إلا لطاهر وأما الحديث القدسي فلا يشترط فيه ذلك .

6 – تحرم رواية القرآن الكريم بالمعنى وأما الحديث القدسي فلا تحرم روايته بالمعنى .

7 – أن القرآن الكريم نزل بالوحي الجلي أي بمجيء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، حيث لم ينزل شيء من القرآن على الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالإلهام أو في المنام, أما الحديث القدسي فنزل بالوحي الجلي والخفي.

8 – أن القرآن الكريم يكفر من يجحد شيئا منه، أما الحديث القدسي فلا يكفر من ينكر غير المتواتر منه

.9 – يكتب القرآن الكريم برسم خاص يسمى "رسم المصحف"، وأما الحديث القدسي فليس لكتابته رسم خاص.

10 – القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى، أما الحديث القدسي فينسب إلى الله نسبة إنشاء، فيقال: "قال الله تعالى"، ويروى مضافا إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– نسبة إخبار فيقال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه.

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

1 – الحديث النبوي قسمان: "قسم توقيفي" وهو الذي تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم مضمونه وحيا فبينه للناس بكلامه.

2 . "قسم توفيقي" وهو الذي استنبطه الرسول صلى الله عليه وسلم من فهمه للقرآن، لأنه مبين له، أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد. وهذا قد يقره الوحي إذا كان صوابا، وإذا وقع فيه خطأ جزئي نزل الوحي بما فيه الصواب.وعليه يمكن اعتبار الأحاديث النبوية بقسميها التوقيفي والتوفيقي الاجتهادي الذي أقره الوحي راجعة إلى الوحي بالأصالة أو بالتبع .

أما الحديث القدسي فمعناه من عند الله عز وجل، يُلقى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بكيفية من كيفيات الوحي–لا على التعيين. أما ألفاظه فمن عند الرسول صلى الله عليه وسلم على الراجح ونسبته إلى الله تعالى نسبة لمضمونه لا نسبة لألفاظه، ولو كان لفظه من عند الله لما كان هناك فرق بينه وبين القرآن، ولوقع التحدي بأسلوبه والتعبد بتلاوته

الفرق بين القرآن والمصحف :

المصحف ليس اسما لذات القرآن الكريم ، وإنما هو اسم للصحف التي كتب عليها القرآن الكريم، ولم يطلق اسم المصحف على القرآن المكتوب في الصحف إلا بعد جمع القرآن الكريم في عهد الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في صحف ضم بعضها إلى بعض، فسميت مصحفا. وقد تحدث الفقهاء عن حكم بيع المصحف، ولم يقل أحد منهم ببيع القرآن. فالقرآن كلام الله تعالى. أما كتابة الآيات القرآنية وطباعتها

في الصحف وتسجيل تلاوتها على الأشرطة والأقراص، فعمل البشر وجهدهم الذي يبتغون به كسب رزق حلال.

ومن الفروق بين القرآن والمصحف بالمعنى الذي ذكرنا أن لفظ القرآن لا يجمع؛ لأن القرآن واحد لا يختلف في كل المصاحف. أما المصحف فيصح جمعه فيقال: "مصاحف "لأن كل واحد منها أو مجموعة منها تختلف عن الأخرى في الحجم ونوعية الخط ، واللون إذا كانت مكتوبة ، و من قارئ إلى أخر، ونوعية التلاوة إذا كان مسموعا مرتلا.

ولا ينسب القرآن إلى أي شخص , فلا يقال: "قرآن عثمان أو قرآن على أو قرآن أبي بن كعب". ولكن يقال: مصحف عبد الله بن مسعود؛ لأن هذه المصاحف من عملهم واجتهادهم.

التعريف الاصطلاحي لعلوم القرآن:

يختلف تعريف علوم القرآن بالنظر إلى معناه الإضافي، عن تعريفه كفن مدون من علوم الشريعة أو بالمعنى الاصطلاحي المتأخر. فعلوم القرآن بمعناه الإضافي فيه توسع حيث يشمل العلوم الموثقة والميسرة والخادمة للقرآن الكريم، والمستنبطة منه ، وهي تستوعب علوم الأولين والآخرين كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من أراد العلم فليُثوّر القرآن فإنه فيه علم الأولين والآخرين[1]"

أما تعريف علوم القرآن باعتباره علما لقبيا كفن مدون فقد تعددت عبارات العلماء في بيان مفهومه على النحو الآتي:

---

[1] – أخرجه الطبراني في " الكبير " (9 / 146)، رقم (8665) من طريق زهير، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود.

قال الشيخ الزرقاني :علوم القرآن هي " مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك[1] ."

وأما الشيخ مناع القطان فقد عرف علوم القرآن بقوله: "العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم و التشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن[2] ."

وقال الدكتور فهد الرومي : هي"مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك[3] "

وحاول الدكتور فاروق حمادة حصر مباحث علوم القرآن في شعبتين:

الأولى: تاريخ القرآن الكريم ويندرج تحت ذلك نزول القرآن الكريم، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، وتدوينه، وحفاظه، وقراءاته.

.الثانية: الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق, وينضوي تحت ذلك علوم اللغة، والإعجاز، والمحكم والمتشابه، والغريب وما إلى ذلك.[4]

أما الدكتور مساعد الطيار فقد صنف مباحث علوم القرآن ضمن عشرة أصناف؛ يندرج تحت كل صنف منها عدة موضوعات وهي:

---

[1] – مناهل العرفان في علوم القرآن: 20/1

[2] – مباحث في علوم القرآن: 15–16

[3] – دراسات في علوم القرآن

[4] – مدخل إلى دراسة القرآن الكريم

1– علم نزول القرآن .

2 – علم جمع القرآن .

3 – علم القراءات .

4 – علم معاني القرآن .

5 – علم التفسير .

6 – علم سور القرآن وآياته .

7 – علم فضائل القرآن .

8 – علم أحكام القرآن ووجوه الاستنباطات.

9 – علم الوقف والابتداء.

10 –علم جدل القرآن [1].

ولعل مما يلفت النظر بعد هذا العرض لتعريف علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي وكفن مدون أن ثمة إشكالية في تقديم حدّ جامع ومانع لهذا الفن وتحديد موضوعاته. وإن صعوبة وضع تعريف جامع ومانع لعلوم القرآن هو السبب في غياب التعريف الاصطلاحي لعلوم القرآن من كتب المؤلفين المتقدمين في علوم القرآن بوصفه الاصطلاحي اللقبي، مثل: كتاب "فنون الفنان في عيون علوم القرآن" للإمام أبي الفرح بن الجوزي (ت 597ه) و "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" للإمام أبي شامة المقدسي (ت 665 ه) و "البرهان في علوم القرآن "للإمام أبي عبد الله الزركشى (ت 794 ه) و "الإتقان في علوم القرآن" للإمام السيوطى (ت 911ه) وكذلك غياب هذا التعريف من بعض كتب

[1] – مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير / نشر دار المحدث بالرياض / عام 1425.

علوم القرآن المعاصرة مثل: "مباحث في علوم القرآن" للدكتور صبحي صالح، "دروس في علوم القرآن "للأستاذ غانم قدوري حمد. و " إتقان البرهان في علوم القرآن" الدكتور فضل حسن عباس .

ولعل جميع التعريفات المذكورة لعلوم القرآن بوصفه اللقبي أي كونه عَلما على المباحث الكلية الجامعة المتعلقة بالقرآن الكريم –على حدّ علمي و اطلاعي– هي من إبداع العلماء المتأخرين بل المعاصرين.

فما ذكره أصحاب التعريفات الآنفة الذكر كأصل كلي لجميع موضوعات علوم القرآن وعبروا عنها بعبارات مثل " :مباحث تتعلق بالقرآن الكريم "كما عند الشيخ الزرقاني و الدكتور فهد الرومي, و "الأبحاث المتعلقة بالقرآن"كما عند الشيخ مناع القطان. رغم كونها قريبة المبنى والمعنى، لا تكفي لوحدها أن تكون أساسا لبناء تعريف دقيق للعلم. فهي –أعنى عبارة "المباحث المتعلقة بالقرآن" و "الأبحاث المتعلقة بالقرآن"– عبارة عامة تنطبق على أخص موضوعات علوم القرآن وأدقها مثل: الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والمكي والمدني –على سبيل المثال– كما أنها قابلة للانطباق على موضوعات أخرى أستبعد كونها من مباحث علوم القرآن كفن مدون، بالرغم أنها موضوعات متصلة بالقرآن وتتعلق بها، مثل: دقائق علم اللغة وبعض التفريعات المتعلقة بإعجاز القرآن عموما ومنها الإعجاز العلمي .

وثمة إشكال آخر مهم في هذه التعاريف وهو كونها ذات طابع وصفي، بمعنى أنها تصف بعض موضوعات علوم القرآن بحيث يمكن القول أنها تذكر بعض الموضوعات التي تدرس في نطاق علم اسمه "علوم القرآن" بدل أن تعطي تعريفا للعلم نفسه والذي يتناول

تلك الموضوعات بالدراسة والبحث. فموضوعات أي علم شيء . والعلم الذي يشتمل على تلك الموضوعات ويوفر إطارا ومنهجا لدراستها شيء آخر، كما هو معروف.

ومما له صلة بإشكالية التعريف أيضا تسمية علوم القرآن بأصول التفسير عند بعض أهل العلم كالشيخ مناع القطان، حيث قال: "وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير, لأنه يتناول المباحث التي لابد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن ."والدكتور فهد الرومي الذي قال: "ويسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها ."

وبناء على ما ذكر نحاول تقديم تعريف لعلم "علوم القرآن" نرجو أن يكون دقيقا وخاليا من مآخذ التعاريف السابقة، فنقول في تعريف علوم القرآن:

"علم يدرس الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم سواء أكانت خادمة له أم معينة على فهمه."

نريد بـ"العلم" أن علوم القرآن علم مستقل ذو تعريف وموضوعات خاصة تميزها عن بقية العلوم. وجملة "الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم" تشير إلى خصوصية المسائل المدروسة في هذا العلم، وهي المباحث المتصلة بالقرآن الكريم، وبها تخرج المسائل التي لا علاقة لها بالقرآن الكريم من نطاق علم علوم القرآن .وعبارة "سواء أكانت خادمة له أم معينة على فهمه" بمثابة وصف أو قيد لطبيعة الموضوعات المتصلة بالقرآن والتي تدرس في علم علوم القرآن, وهي موضوعات معينة وليس كل موضوع يمكن أن يتصل بالقرآن، ولكن فقط الموضوعات التي تخدم القرآن الكريم في جانب معين أو يساعد على فهمه. وأما الموضوعات الخادمة للقرآن فمثل: جمع القرآن، ورسم المصحف, وفضائل القرآن, وأحوال نزول القرآن مثل أول ما نزل وآخر ما نزل والحضري

والسفري والصيفي والشتائي والليلي والنهاري وغيرها، أو الأحرف السبعة, وكيفية إنزال القرآن (الوحي), وعلم طبقات القراء, وآداب القراءة, وتجويد القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وتاريخ التفسير، وطبقات المفسرين، ومناهج المفسرين وأمثالها. هذه المباحث تخدم القرآن الكريم في مختلف الجوانب، ولكن لا اتصال لها مباشرة بفهم القرآن .

وأما الصنف الثاني من موضوعات علوم القرآن، فهي التي تساعد على فهم القرآن مثل: أسباب النزول, والمكي والمدني, والقراءات وتوجيهها, وغريب ألفاظ القرآن, وإعراب القرآن, ومشكل القرآن, ومعرفة المحكم والمتشابه، والتفسير بأنواعه التحليلي والموضوعي والمقارن والإجمالي وأصول التفسير وقواعده، وعلم الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والوجوه والنظائر، وأقسام القرآن وأمثاله، وعلم المناسبات وما إلى ذلك.

وخلاصة القول: أن موضوعات علوم القرآن بناء على هذا التعريف وحسب ما هو موجود في أمهات كتب علوم القرآن والتفسير منحصرة فقط في تلك التي تخدم القرآن، إما في الحفاظ عليه وسلامته من التحريف اللفظي سواء في النطق أو الكتابة وضبط نصوصه وترتيب سوره وآياته أو بيان تاريخه، ومنازل أحوال نزوله وإعجازه ودفع الشبهات عنه، وتاريخ تفسيره ومناهج المفسرين واتجاهاتهم .أو تلك التي تعين على فهم نصوص القرآن فهما سليما خاليا عن التعسف والتكلف والتحريف المعنوي، واستنباط الأحكام والحكم منه، وفق ضوابط وأصول محكمة متقنة تحافظ على قدسية النص القرآني وتمنع عبث العابثين وتكشف تحريف الغالين وإبطال الجاهلين، ليبقى كما أراد الله تعالى له محفوظا صافيا نقيا يرشد الناس إلى الصراط المستقيم والنور المبين إلى يوم القيامة

،لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وبهذا الشرح للتعريف تنضبط دائرة موضوعات علوم القرآن ويسد باب الإفراط والتفريط في التوسيع والتضييق بإذن الله تعالى .

نشأة علوم القرآن وتطورها

نشأت علوم القرآن تدريجياً بحسب الحاجة لفهم معاني القرآن الكريم ، فكان العرب ،ومنهم الصحابة ،يفهمون القرآن لكونه نزل بلغتهم ، وقلما يغيب عنهم معنى أو يستشكل عنهم ظاهر من القرآن الكريم. ومع شروع الصحابة في جمع القرآن بدأ يتشكل علم خاص برسم القرآن ثم تطور هذا العلم مع تطور الخط العربي ونقط المصحف وإعجامه. كما رافق ذلك الحديث عن إعراب القرآن.

ومع انتشار الإسلام وتوسع الفتوحات ودخول الأعاجم في الإسلام، وكذلك توسع المعارف والعلوم، ظهرت أنواع من علوم القرآن المختلفة. فظهر مبكراً الحديث عن أسباب النزول ،والمكي والمدني ،والناسخ والمنسوخ ،وعلم الغريب... وكان ذلك متداخلاً مع رواية الحديث التي شكلت في واحد من فصولها نشأة علم التفسير الذي استقل فيما بعد، فكان أقدم ما وصل إلينا مستقلاً من تفسير القرآن كاملاً هو تفسير مقاتل بن سليمان (150هـ).

وأما في موضوعات علوم القرآن فألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (209هـ) في مجاز القرآن، وأبو عبيد القاسم بن سلام (224هـ) في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات، وعلي بن المديني (234هـ) في أسباب النزول. وينسب صاحب الفهرست إلى محمد بن خلف بن المزربان (309هـ) كتاب "الحاوي في علوم القرآن"، ولعله أقدم استعمال لتعبير علوم القرآن. وجرى بعد ذلك استعمال التعبير المركب "علوم القرآن" في القرن الرابع دون أن يحمل دلالة اصطلاحية. وجاء علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت:430هـ) ليؤلف كتابه "البرهان في علوم القرآن"، وهو تفسير يقع في ثلاثين مجلداً يوجد ما يقرب من نصفه مخطوطاً في مصر وغيرها، وقد ضمنه علوم القرآن في تفسير

كل سورة. ويرجع الشيخ عبد العظيم الزرقاني إليه بداية إطلاق علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي الشامل لها، لكنه تناولها تطبيقاً في التفسير لا تنظيراً، "فأتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد ، بل على طريقة النشر والتوزيع تبعا لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع من علوم القرآن عند المناسبات"[1]. وقد ذكر مصطفى عبد القادر عطا في مقدمة تحقيقه لكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، أن الزركشي نقل في كتابه البرهان ما قاله الحوفي في كتابه مختصراً إضافة إلى غيره، لكنه لم يذكر مستنده في ذلك، واستبعد أن يكون عقد مقارنة بين الكتابين لأن كتاب الحوفي مخطوط وناقص وهو كتاب في التفسير، ولم يذكر الزركشي الحوفي في كتابه غير مرتين إحداهما في سياق تأليفه في إعراب القرآن، والثانية ينقل عنه رأياً من تفسيره حول آية القصاص وفصاحة القرآن، ولم أعثر له ذكراً في غير هذين الموضعين، مع ملاحظة اهتمام الزركشي بنسبة الأقوال إلى أصحابها، وكذلك تأريخه لما كتب في علوم القرآن، فيستبعد أن يكون الزركشي لخص كتاب الحوفي ضمن البرهان دون أن يشير إلى ذلك[2].

وفي القرنين السادس والسابع نجد ابن الجوزي (ت 597هـ) ألف : "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن" و"المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن"، كما صنف علم الدين السخاوي (ت643هـ) "جمال القراء وكمال الإقراء"، و ألف أبو شامة (ت665هـ) "المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز"، وهي كتب في جوانب متخصصة من علوم

---

[1] – مناهل العرفان في علوم القرآن : 35/1

[2] - موقع الملتقى الفكري : في نشأة علوم القرآن وتطورها عبد الرحمن حللي – كاتب سوري .

القرآن.أو هي كما قال السيوطي عبارة عن طائفة يسيرة ونبذ قصيرة ، بالنسبة للمؤلفات التي ألفت بعد ذلك في هذا النوع.[1]

أما في القرن الثامن فنجد بدر الدين الزركشي، (ت794هـ)، وكتابه "البرهان في علوم القرآن"، وقد كان الزركشي من علماء الأصول والفقه الشافعي، وصنف في عدة علوم كالفقه والأصول والتفسير وغيرها. وأما كتابه البرهان فهو مطبوع في أربعة مجلدات، وقد حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، وفيه عرض شامل وموسوعي لعلوم القرآن، حيث اختصر ما ضمنه فيه من معلومات من كتب التفسير واللغة والفقه وغيرها، فجمع آراء العلماء وأضاف إليها، وقد ذكر العشرات من أسماء الكتب والمؤلفين الذين نقل عنهم، فكان كتابه عصارة لفكرهم مضافاً إليها ما رآه الزركشي أو رجحه، لذلك كان كتابه فريداً في موضوعه من حيث كونه أول كتاب يشتمل على مختلف علوم القرآن ويعرف بها، ويمكن اعتباره أول من ألف في علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي الذي يختص بجمع ضوابط العلوم المتصلة بالقرآن الكريم بكيفية كلية عامة .

وفي القرن التاسع: نجد جلال الدين البلقيني(ت824هـ) وكتابه:"مواقع العلوم من مواقع النجوم"، ومحمد بن سليمان الكافيجي (ت879هـ) وكتابه : "التيسير في قواعد التفسير".

ومع نهاية القرن التاسع وبداية العاشر نجد جلال الدين السيوطي (911 هـ)، المعروف بكثرة التأليف في مختلف العلوم وبالخصوص في علمي التفسير والحديث،

[1] - مناهل العرفان في علوم القرآن : 36/1

والمتميز بالجمع والموسوعية في التأليف، وكتابه الشهير "الإتقان في علوم القرآن" الذي يعتبر من أكثر كتب الدراسات القرآنية استيعاباً لعلوم القرآن ومن أحسنها تصنيفاً وتبويباً، وهو اختصار لكتاب آخر أسهب فيه وهو" التحبير في علم التفسير"، وقد ضمن التحبير كتاب شيخه الإمام جلال الدين البلقيني (مواقع العلوم من مواقع النجوم)،كما استفاد فيه من شيخه الكافيجي، ويبدو أنه في أثناء تصنيفه "التحبير" لم يكن قد اطلع على كتاب البرهان للإمام الزركشي. أما كتاب "الإتقان" فقد صنفه بعد أن اطلع على كتاب البرهان للإمام الزركشي، فاختصره مع إضافات كثيرة، وجعله مقدمة لتفسير كبير شرع فيه ولم يتمه. ويؤخذ عليه أنه يورد الكثير من الروايات الضعيفة والأحاديث التي لم تثبت دون تعقيب، وكذلك ذكره لبعض الآراء دون ذكر أصحابها أو التعقيب عليها رغم تفردها. ويعتبر كتاب "الإتقان" أهم مصدر للباحثين والكاتبين في علوم القرآن، بل إن معظم ما ألف حديثاً في علوم القرآن مقتبس منه. قال عبد العظيم الزرقاني : (فلم نر من سار في هذا المضمار مثله بعده ،كما لم نر من بزه فيه قبله)[1] ويعتبر من أوائل الكتب التي طبعت في القرن التاسع عشر،فطبع في كلكتا (1271هـ/1854م)، وقد توالى طبعه.

ثم بعد ذلك لانكاد نجد تأليفاً متميزاً في علوم القرآن إلى أن ظهرت النهضة الحديثة في التأليف في القرن الرابع عشر الهجري، فظهرت عشرات المؤلفات الحديثة التي اختصرت ما تقدم وأضافت إليه، وكان من عوامل تجديد التأليف فيها ظهور موضوعات جديدة وتطور أساليب التدريس، وكانت جهود المستشرقين وما أثاروه من أهم المحفزات لإعادة النظر

[1] - مناهل العرفان في علوم القرآن : 37/1

وتمحيصه في علوم القرآن، كما ظهرت محاولات جديدة تعيد النظر في علوم القرآن من منطلق إعادة النظر في الوحي والقرآن نفسه كمصدر ورسالة وتاريخ، كمحاولات نصر حامد أبو زيد ، التي رام فيها بناء رؤية نقدية تجديدية، وذلك بإعادة النظر في التراث الديني من كل جوانبه، وهذا ما يفسّر تعدد المحاور التي ما انفك أبو زيد يراودها في أغلب مؤلّفاته التي خصص جزءا مهمّا منها للنظر في العلاقة القائمة بين الثالوث الآتي: التأويل، الإنسان، المعرفة الدينية.

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أهم ثلاثة كتب حديثة شكلت إضافة في التآليف الحديثة في علوم القرآن وكانت مرجعاً لمعظم المؤلفات الحديثة، وهي:

– مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، وهو كتاب جامع يعتمد أسلوباً سهلاً، ضم الكثير من المادة العلمية من كتابي الزركشي والسيوطي، وأضاف إليهما مباحث جديدة لاسيما حول شبهات المستشرقين، وترجمة القرآن.

– مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح، وهو بالإضافة إلى الاختصار والجمع من المصادر عني بالتدقيق في مسائل جمع القرآن ووجوه الإعجاز والبلاغة، وتطرق إلى مسائل مثارة في عصره.

– النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز ، وهو طريقة جديدة في تناول القرآن الكريم تركز على خصائص القرآن ومزاياه المعجزة، يتناول بعض علوم القرآن بمنهج جديد، رقيق الأسلوب والتعبير.

ولا تزال علوم القرآن بحاجة إلى جهود علمية أكثر تسد النقص في جوانب من مباحثه، وتعيد النظر في جوانب أخرى. فعلوم القرآن فيها الكثير مما يحتاج إلى المراجعة والدرس ، تصنيفا وتحريرا وتهذيبا.

خلاصة

ويمكنك أن تستخلص مما سبق أن علوم القرآن كفن مدون استهلت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ثم تربت في حجر ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة في القرنين السادس والسابع. ثم ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي. ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي وجلال الدين البلقيني. ثم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي التحبير والإتقان في علوم القرآن للسيوطي عليه ألف رحمة من الله ورضوان. ثم وقف نموها بعد ذلك حتى هذا القرن الأخير. ثم بدأت تنتعش في هذه السنين من جديد . نسأل الله تعالى أن يقيض لها رجالا من ذوي القوة العلمية والأمانة الدينية والهمة العالية. ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبا.

الوحي : تعريفه وأنواعه

تمهيد

مع ازدهار الحياة العلمية، وتطور الوسائل العصرية أصبح الإيمان بعالم الغيب من خلال ملاحظة آثاره ومظاهره، وإن كان يصعب معرفة كنهه، أكثر تقبلا وتفهما واستيعابا من لدن أهل العلم والنهى. خاصة وان البحوث النفسية الروحية لها في مضمار العلم الآن مكانتها، ويقربها إلى الأفهام تفاوت الناس في مداركهم وميولهم وغرائزهم، فمن العقول العبقري الذي يبتكر كل جديد، ومنها الغبي الذي يستعصي عليه إدراك بديهي الأمور، وبين المنزلتين درجات. والنفوس كذلك منها الصافي المشرق، والخبيث المعتم. والروح مثل الجسم تحتاج إلى غذاء، وتعتل الروح كما يعتل الجسد. وليس بعزيز على الله تعالى أن يختار من عباده نفوساً لها من نقاء الجوهر وسلامة الفطرة ما يعدها للوحي السماوي، ليلقي إليها برسالاته التي تسد حاجة البشر في رقي وجدانه، وسمو أخلاقه، واستقامة نظامه. وهؤلاء هم رسله وأنبياؤه عليهم السلام. ولا غرابة في أن يكون هذا الاتصال بالوحي السماوي.

ولعل في حياتنا من الوقائع المشاهدة ما يقرب المعنى ويحقق المقصود في الإيمان بظاهرة الوحي. ذلك أن الرجلين يتخاطبان في الهاتف، أحدهما في أقصى المشرق، والآخر في أقصى المغرب، وقد يتراءيان مع هذا التخاطب، ولا يسمع الجالسون بجانبهما شيئاً سوى أزيز كدوي النحل الذي في صفة الوحي. وقد شاهد الوحي معاصروه ونقل إلينا بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم القطعي إلى الأجيال اللاحقة، ولمست الإنسانية أثره في حضارة أمته، وعزة أتباعه ما استمسكوا به ، وخذلان من فرط فيه وأعرض عن هديه. فما مفهوم الوحي لغة واصطلاحا ، وما حقيقته في القرآن الكريم والسنة البيان ؟

الوحي في اللغة :

يقال: وَحَى إليه وله , " يَحِي" وَحْياً أشار وأومأ إليه, وأوْحَيْتُ إليه إذا كلمته بما تخفيه عن غيره , فكل ما تلقيه إلى غيرك خفية فهو من الوحي[1].

فالوحي في اللغة يعني : الإعلام في خفاء بأي صورة كانت.

قال ابن تيمية:"الوحي الإعلام السريع الخفي , إما في اليقظة وإما في المنام".

فالوحي بمعناه اللغوي يتناول:

1. الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ)[2].

2. والإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[3].

3. الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه: (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً)[4].

4. ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)[5].

---

[1] – لسان العرب لابن منظور

[2] – سورة القصص : 7

[3] – سورة النحل : 68

[4] – سورة مريم : 11

[5] – سورة الأنعام : 121

5. ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)[1].

الوحي في الاصطلاح :

عرِّف الوحي في اصطلاح الشرع بتعريفات أخص من التعريف اللغوي؛ ومن أشهرها وأجمعها:

كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه[2].وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أي الموحى.

كيفية وحي الله إلى الملائكة

جاء في القرآن الكريم ما ينص على كلام الله لملائكته: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا)[3].

وعلى إيحائه إليهم: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ)[4].

وعلى قيامهم بتدبير شئون الكون حسب أمره: (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً) (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً).

وهذه النصوص متآزرة تدل على أن الله يكلم الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه. ويؤيد هذا ما جاء في الحديث عن النواس بن سَمْعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله

---

[1] – سورة الأنفال : 12

[2] – مناهل العرفان : 63/1

[3] – سورة البقرة : 30

[4] – سورة الأنفال : 12

صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السماء رجفةٌ–أو قال: رعدة– شديدةٌ خوفاً من اللَّه عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صَعِقوا وخرُّوا سجَّداً فيكون أول من يرفعُ رأسَهُ جبريل، فيكلمه اللَّهُ من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول:" قال الحق وهو العلي الكبير" فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل »[1]. فهذا الحديث يبين أن الوحي تكلم من الله، وسماع من الملائكة، مصحوبا بهول شديد لأثره. وإذا كان ظاهره–في مرور جبريل وانتهائه بالوحي– يدل على أن ذلك خاص بالقرآن فإن صدره يبين كيفية عامة.

الأدلة العقلية على إثبات الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم :

ثبوت الوحي في تاريخ الأنبياء عليهم السلام من الأمور المسلَّم بها بين أهل الديانات الربانية السابقة ، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أول بشر أوحى الله إليه ، أو ادّعى ظاهرة لم تكن معروفة في الأنبياء السابقين له؛ وقد قال ورقة بن نوفل . الذي كان قد تنصر في الجاهلية –للنبي صلى الله عليه وسلم عندما ذهبت به زوجه خديجة إليه: (هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)[2]. والنَّامُوسُ : صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي يُطْلِعُهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ . فهي ظاهرة ليست بدعة في التاريخ، وقد تضافرت الأدلة العقلية والنقلية في الكتاب والسنة بما يؤكد ثبوت

[1] – رواه ابن أبي عاصم وابن أبي حاتم وأبي زرعة وابن جرير

[2] – صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء .باب واذكر في الكتاب موسى....

الوحي من الله تعالى لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . وهذه الأدلة هي من مؤكدات النبوة منها :

1. حالات النبي صلى الله عليه وسلم مع الوحي وذلك :

أ / **عند نزول الوحي عليه** : ما كان يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم من ثقل جسمه ، وتفصده عرقاً في الليلة الباردة ، ويسمع عند جبينه دوي كدوي النحل ونحوها مما هو خارج عن مقدور إنسان أن يتصنعه. ونقل الصحابة رضوان الله عليهم ذلك نقلاً متواتراً بما يفيد اليقين ويؤكد صدقه .

ب/ **عند انقطاع الوحي عنه في وقت هو أحوج ما يكون إليه** : وقد كان الوحي ينقطع عنه في وقت هو في حاجة إليه ، ولا ينزل طوع إرادته مما يؤكد صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك عندما كان يسأل عن بعض الأمور ولم يكن له في ذلك علم من الله تعالى ينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيجيب السائل.

ج/ **عندما ينزل الوحي مصوباً أو معاتباً له** : ومما يؤكد صدقه صلى الله عليه وسلم ما جاء في القرآن الكريم من عتاب وتصويب لبعض مواقفه كقوله تعالى : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)

2. شمائل النبي صلى الله عليه وسلم تدل على صدقه : فقد قامت الأدلة القاطعة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم من مهده إلى بعثته فلم يعرف عنه كذب في حياته قط وقد شهد بذلك أعداؤه قبل أتباعه وأصحابه. فعندما سأل هرقل أبا سفيان في قوله (فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ: لا ، فقالَ

هرقل: فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ)[1].

3. نصرة الله تعالى له : ومما يؤكد صدقه نصرة الله له، وإهلاك أعدائه، وتولي أمره وأمر من آمن معه؛ لأن الله لا يصلح عمل المفسدين, ولا ينصر الكاذبين .

4- ما أيَّده الله به من معجزات : فقد أيده الله بمعجزات كثيرة تدل على صدقه وعلى رأس تلك المعجزات القرآن الكريم ؛ الذي تحدى الله به الخلق وخاصة من يشكُّون في صدق النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله، أو عشر سور من مثله، أو حتى سورة من مثله.

5. علوم القرآن الواسعة المتنوعة : ما جاء في القرآن من علوم ومعارف متنوعة حوت كل مباحث الإيمان ، وشملت كل فضائل الأخلاق والأعمال ، وتشريعات أشرقت لها جوانب الحياة المختلفة المالية , والجنائية, والعسكرية, والسياسية, والاجتماعية ونحوها, وعلوم كونية شملت السماء وزينتها ، والأرض وما عليها من جبال، وبحار، وأنهار، ورياح، ونبات، وحيوان وغيرها ، وعلوم نفسية وتربوية غائرة في أعماق النفس بشكل تحتار فيه العقول في زمان العلم دعك عن غيره ، ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها من تلقاء نفسه ، في سعتها ، ودقتها وعمقها.

6- القيم التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد صدقه؛ لأنَّه دعا إلى ما دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين، من عبادة الله وحده دون سواه وترك عبودية غيره، ودعا إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، فهو لم يأت إلا بما بعث الله عليه المرسلين

[1] – صحيح مسلم .كتاب الجهاد والسير . باب :كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل.

، ولهذا عندما سأل هرقل أبا سفيان وقال له: (فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ قَالَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ) . فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ)[1]

7 ـ الأمور الغيبية في القرآن الكريم : ما جاء في القرآن الكريم من أنباء الغيب التي أوحى الله إليه بها والتي لا يمكنه معرفة حقائقها إلا عن طريق الوحي ؛ خاصة تلك الأخبار التي هي لأمم اندثرت آثارهم من الأرض .

أقسام الوحي :

الوحي من حيث العموم ينقسم إلى قسمين :

أ ـ وحي باللفظ والمعنى : وهذا هو القرآن الكريم .

ب ـ وحي بالمعنى دون اللفظ: وهذه هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم

الوحي من حيث النزول :

ينقسم وحي الله تعالى لرسوله الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الرسل من حيث طرق نزوله إلى قسمين وهما :

أ ـ **وحي بدون واسطة** : وهو على ثلاثة أنواع :

1. الرؤيا في المنام .
2. النفث في الروع .

[1] ـ صحيح البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء .باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ....

3. كلام الله لنبيه من وراء حجاب .

ب - وحي بواسطة رسول من الملائكة : يرسله الله تعالى ليبلغ رسالة الله تعالى لرسله . ولا ينزل الملك بالوحي إلا بعد أن يرسله الله ويأذن له .وإليكم الحديث عن كلِّ قسم:

القسم الأول : وحي بدون واسطة : وهو على ثلاثة أنواع :

1 . الرؤيا الصادقة في النوم :

رؤيا الأنبياء وحيٌ من الله تعالى . وقد كان أول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة . كما جاء في حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ:(أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)[1].

وقد ثبتت الرؤيا لنبي الله إبراهيم عليه السلام عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام.

2 - النفث في الروع:

وهو أن يلقي الله تعالى الوحي في قلب وفؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه لا يستطيع دفعه ولا يجد فيه شكّاً, ولا يتصور معه المخالفة، ولا التردد بل يوقن أنه من عند الله تعالى وليس من خطرات النفس, ولا نزغات الشيطان, فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوا بمعصية الله , فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته).

[1] - صحيح البخاري . كتاب بدء الوحي. باب أول ما نزل ...

3 ـ كلام الله لنبيه من وراء حجاب :

وهو أن يكلم الله تعالى نبيه كلاماً حقيقياً يليق بجلاله دون تشبيه ولا تمثيل , ولا تعطيل , ولا إلحاد , يسمعه منه نبيه ويعيه دون رؤيته للباري جل وعلا كما حدث لموسى عليه السلام . قال تعالى: وكلم الله موسى تكليما

القسم الثاني:

ما يكون بواسطة رسول من الملائكة يرسله الله تعالى كجبريل أو غيره من الملائكة فيوحي إلى الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . ما كلفه الله بتبليغه وإنزاله , وقد اختص جبريل عليه السلام بإنزال الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم .

حالات إتيان الملك بالوحي :

الحالات التي أتى فيها جبريل عليه السلام بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا تخلو من حالات ثلاث وهي :

1. أن يأتي جبريل عليه السلام في صورته التي خلق عليها؛ له ستمائة جناح, وقد سد الأفق وهي حالة نادرة وقد ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين: الأولى كانت في الأرض في مكة على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق , والثانية في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج .

2. أن يأتي إليه في صورة رجل سوي ، كصورة دحية الكلبي أو أعرابي فيكلمه. ويراه الحاضرون، ويسمعون كلامه ويفهمونه، ولكنهم لا يعرفون أنه جبريل؛ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم يقيناً أنه جبريل جاء ليعلمهم أمر دينهم، كما في حديث عمر بن الخطاب قال : (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ, شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ, لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ , ولا

يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ؛ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم, فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ, وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ... الحديث)[1].

3 . أن يأتي إليه جبريل عليه السلام فينزل عليه بالوحي خفية دون رؤيته، ولكن يظهر أثر الوحي, والتغير على رسول الله صلى الله عليه وسلم , فيغطُّ غطيط النائم, ويثقل جسده ثقلاً شديداً، ويتصبب عرقاً في جبينه في اليوم الشديد البرد, ويكون وقعه عليه كصلصلة الجرس، ويسمع الحاضرون عند وجهه كدوي النحل دون أن يفهموا منه شيئاً, أمَّا هو فيفهمه, ويعي ما يوحي إليه به الملك وبمجرد ما ينفصم عنه يجد ما أوحي إليه في قلبه، وهو يدرك يقيناً أنه وحي من الله سبحانه من غير لبس. والقرآن كله نزل على هذه الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته، ولم يثبت . والله أعلم . أن جبريل عليه السلام أتاه بشيء من القرآن وهو على صورة بشر, وكل ما جاء من ذلك فهو من وحي السنة، وليس من وحي القرآن الكريم .

وكلتا الحالتين مذكور فيما يروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :" يا رسول الله.... كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"[2].

تنبيـــه:

---

[1] – صحيح مسلم . شرح الأربعين النووية.....

[2] - صحيح البخاري . كتاب بدء الوحي. باب بدء الوحي

قد خاض المتكلمون في بيان كلام الله تعالى على منهج الفلاسفة فأوقعوا الناس في متاهات أضلتهم عن سواء السبيل.حيث قسموا كلام الله تعالى إلى قسمين : نفسي قديم قائم بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا ترتيب ولا لغة.وكلام لفظي هو المنزل على الأنبياء عليهم السلام ومنه الكتب الأربعة.وأغرق علماء الكلام في خلافاتهم الكلامية : أيكون القرآن بهذا المعنى الثاني مخلوقا أم لا ؟ ورجحوا أن يكون مخلوقا.وخرجوا بذلك عن منهج السلف الصالح بما لم يرد به كتاب ولا سنة.ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته رسوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل.قال تعالى :(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [1]

[1] – مباحث في علوم القرآن . مناع القطان : 44

جمع القرآن وتدوينه

معلوم أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه ، وهيأ الأسباب الكونية والقدرية لذلك , فقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1]. و من الأسباب الكونية والقدرية التي يسرها الحق تعالى لحفظ كتابه المنزل تيسير أمر جمعه وتدوينه .فما حقيقة جمع القرآن الكريم ؟ وما هي مراحل جمعه؟ وما الفرق بين هذه المراحل ؟

مفهوم جمع القرآن

الجَمْع : مصدر الفعل "جَمَع" ، يقال : جمع الشيء يجمعه جمعا. أما في الاصطلاح فيطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين : الجمع بمعنى الحفظ في الصدور، والجمع بمعنى الكتابة في السطور.وفي تسمية القرآن بـ: القرآن والكتاب , إشارة لطيفة إلى هذين النوعين، فالقرآن بمعنى الجمع والحفظ . والكتاب بمعنى المكتوب . ولا يغني أحدهما عن الآخر ، فلا يكفي حفظ حافظ حتى يوافق رسم المصحف ، ولا تكفي كتابة كاتب حتى توافق ما نقل بالتواتر [2].

* الجمع الأول : في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يطلق جمع القرآن ويراد به أحد معنيين : الأول : حفظه في الصدور . والثاني : كتابته في السطور.

المعنى الأول :جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب ، ويدل عليه قوله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }[3] أي : جمعه في صدرك ، وإثبات قراءته في لسانك

---

[1] – سورة الحجر : 6

[2] – انظر: النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز, صـ:5–7

[3] – سورة القيامة : 17

.عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه ، يريد أن يحفظه فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لنعجل به إن علينا جمعه وقرآنه...فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق وفي لفظ استمع، فإذا انصرف قرأه كما وعد الله[1].

وقد جمع القرآن الكريم حفظا في الصدور على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.، إذ الأمة العربية كانت بسجيتها قوية الذاكرة ، تستعيض عن أميتها في كتابة أخبارها وأشعارها وأنسابها بسجل صدورها. وكانت عناية الصحابة رضي الله عنهم بسماع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه ومدارسته كبيرة ، فلم يكونوا يتجاوزوا عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، وأقاموا به ليلهم تهجداً وتلاوةً ، حتى كان يسمع لبيوتهم دويٌّ كدويّ النحل من التلاوة . فلا عجب أن يكثر حفاظ القرآن من الصحابة ، حتى عُرف طائفة منهم بالقراء.

وقد كانوا عدداً كبيراً . ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه في قصة بئر معونة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سبعين رجلاً يقال لهم القراء . وذكر السيوطي في الإتقان[2]، نقلاً عن أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه (القراءات) وفي مقدمة (طبقات القراء) للذهبي أن هذا العدد هم الذين عرضوا القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم واتصلت بنا أسانيدهم . وأما من جمعه من الصحابة ولم يتصل بنا سندهم فكثير). ومثّل أنس بن مالك رضي الله عنه لبعض من جمع القرآن كاملاً عن النبي

---

[1] – أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس

[2] – الإتقان :3 – 1 / 72

صلى الله عليه وسلم سماعاً منه وعرضاً عليه بقوله عندما سأله قتادة : من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، وأبو زيد هو قيس بن السكن أحد عمومة أنس[1]). وأورد الإمام البخاري في صحيحه بثلاث روايات سبعة من الحفاظ هم: عبد الله بن مسعود ، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة ، معاذ بن جبل ، أبي بن كعب ، زيد بن ثابت ، أبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء رجم الله الجميع. فإلى جانب رواية قتادة السالف ذكرها روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب). وروي عن ثابت بن انس قال: (مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد). فهذا الحصر للسبعة المذكورين من البخاري بالروايات الثلاث محمول على ما ذكره صاحب الإتقان من أن هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كله في صدورهم ، وعرضوه على الرسول صلى الله عليه وسلم.ويكفي دليلا على ذلك أن الذين قتلوا في بئر معونة من الصحابة كان يقال لهم القراء . وكانوا سبعين رجلا كما في الصحيح. قال الماوردي معلقا على رواية أنس (لم يجمع القرآن غير أربعة) : (لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك وكثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد . وهذا لا يتم إلا إذا كان لقي كل واحد منهم على انفراده ، وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي

[1] – الفتح 6 / 102–103

صلى الله عليه وسلم .وهذا في غاية البعد في العادة . وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك. وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى) [1]

المعنى الثاني جمعه بمعنى كتابته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي من أجلاء الصحابة كعلي، ومعاوية، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها ، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تظاهر الكتابة في السطور الجمع في الصدور.

وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم ، دون أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانوا رضي الله عنهم يعرضون على النبي صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن الكريم حفظا وكتابة. ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعة في مصحف عام ، بل عند هذا ما ليس عند ذاك.وقبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء ، أي لم يكن جمع مرتب الآيات والسور في مصحف واحد. قال الخطابي: إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة. قال الزركشي في البرهان : (وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت.فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم)[2]

---

[1] – الإتقان : 1 / 72

[2] - البرهان للزركشي 4/3 .

الجمع الثاني : في عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه :

وكان بعد معركة اليمامة في السنة الثانية عشر من الهجرة. لما قُتل في معركة اليمامة عدد كبير من القراء منهم : سالم مولى أبي حذيفة أحد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم ، فأمر أبو بكر بجمعه لئلا يضيع . ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن بعد وقعة اليمامة, فتوقف , فلم يزل عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك فأرسل إلى زيد بن ثابت فأتاه وعنده عمر فقال له أبو بكر :إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه , قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمراني به , قال: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته . ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه [1] وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك وعدّوه من حسناته حتى قال علي كرم الله وجهه : أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع ما بين اللوحين [2].وإنما أُختير زيد رضي الله عنه لهذا الأمر في زمن أبي بكر وعثمان ؛ لما ذكره أبو بكر عنه من رجاحة عقله، وتمام حفظه, وأنه من كتبة الوحي, ولأنه شهد العرضة الأخيرة للقرآن[3].

---

[1] – رواه البخاري مطوّلاً.

[2] – رواه ابن أبي داود في المصاحف ص11, وحسّنه الحافظ ابن حجر في الفتح 12/9.

[3] – شرح السنة للبغوي 525/4 – 526 , والبرهان للزركشي 237/1 , والإتقان للسيوطي 1/118) .

وصفة هذا الجمع قائمةٌ على أربعة أسس هي :

1 – ما كان محفوظاً في صدور الرجال .

2 – ما كُتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .

3 – لا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم النبي صلى الله عليه وسلم .

4 – لا يقبل شيء من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كُتب بين يدي النبي.

قال أبو بكر رضي الله عنه لزيد وعمر بن الخطاب : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[1].وقام عمر رضي الله عنه في الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به [2]

قال زيد :فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال[3]

قال ابن حجر: وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف على عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم[4]

وتميز هذا الجمع بمنتهى الدقة والإتقان , وإهماله لما نسخ من الآيات. واشتماله على ما ثبت في العرضة الأخيرة دون سواه , وظفر بإجماع الأمة عليه ، وتواتر ما فيه ، ولم يكن منه إلا نسخة واحدة حفظت عند إمام المسلمين أبي بكر رضي الله عنه باتفاق

---

[1] – (المصاحف لابن أبي داود صـ12 , وجمال القراء للسخاوي , 1/86قال ابن حجر: ورجاله ثقات مع انقطاعه .

[2] – المصاحف لابن أبي داود صـ17.

[3] – صحيح البخاري برقم 4986.

[4] – الفتح 15/9.

العلماء [1] وسمي بال"مصحف" باتفاق الصحابة [2] وكان الغرض من هذا الجمع تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف واحد حتى لا يضيع منه شيء ، دون أن يحمل الناس عليه لعدم ظهور الخلاف في قراءته .

وقد استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قرابة خمسة عشر شهرا حيث بدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة أو أوائل الثانية عشرة وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة عشر ، وتم ذلك جمعا وكتابة قبل وفاته رضي الله عنه ، ويدل على ذلك قول زيد بن ثابت . كما في الحديث الذي أخرجه البخاري "فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله"

*الجمع الثالث : في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

وكان في أوائل السنة الخامسة والعشرين من الهجرة. لما اختلف الناس في القراءة بحسب ما وصلهم من القرآن، إمّا من الصحابة أو الصحف , فخيفت الفتنة فأمر عثمان رضي الله عنه أن يجمع الناس على مصحف واحد ، لئلا يختلف الناس فيتنازعوا في كتاب الله ويتفرقوا [3] دليل ذلك ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رحمه الله قال : إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق , فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة , فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

---

[1] – البرهان للزركشي 297/1 ,

[2] – الإتقان للسيوطي : 1 / 89

[3] – الفتح الباري 9 / 17

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. وكان هذا العمل بمشورة من الصحابة واتفاق منهم ، قال علي رضي الله عنه :يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأٍ منّا جميعاً . قال ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ، قلنا: فما ترى ؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف . قلنا: فنعم ما رأيت . قال علي:والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[1]

واختار عثمان رضي الله عنه لهذا الجمع لجنة تتكون من ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير, وسعيد بن العاص ,وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وواحد من الأنصار هو زيد بن ثابت، وقال عثمان للقرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم[2]

والظاهر أنه لا تنافي بين رواية البخاري التي اقتصرت على ذكر الأربعة وبين الروايات الأخرى التي أضافت إليهم خمسة أو سبعة، فرواية البخاري حددت المجموعة الأساسية ، والروايات الأخرى أضافت إليهم ممن ساعدهم بالإملاء والكتابة. فنسخ مصحف أبي بكر رضي الله عنه في أربعة أو خمسة أو سبعة مصاحف , واحد منها بقي عند عثمان وأرسل البقيّة إلى مكة والشام والبصرة والكوفة , وأرسل مع كل مصحف منها حافظا

[1] – المصاحف لابن أبي داود ص30 , وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح 18/9

[2] – صحيح البخاري 99/6

يقرئ الناس بها [1]. وأمر بالإقراء بما فيها وما يوافقها ومنع ما عداها[2]. وأمر بإحراق ما كان من صحائف مفرقة عند بعض الصحابة رضي الله عنهم.

وتميّز جمع عثمان رضي الله عنه باشتماله على ما ثبت في العرضة الأخيرة , وإهمال ما نسخت تلاوته. إذ أمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه , وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف , فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم.[3]

وكان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن ، واشتمل على ما لم ينسخ من الأحرف السبعة والتي تفرعت عنها القراءات المتواترة المعروفة. وكتبت المصاحف بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة , وذلك بعدم إعجامها وشكلها , وجُرِّدت من كل ما ليس قرآناً , كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة من شرح لمعنى أو بيان لمنسوخ أو دعاء أو نحو ذلك .[4]

وأجمعت الأمّة على جمع عثمان رضي الله عنه ، وهو من سنّة الخلفاء الراشدين وقد دلّ الحديث على أن لهم سنّة يجب إتباعها (كما في حديث العرباض بن سارية المشهور(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجد)

---

[1] – مناهل العرفان 1/396–397

[2] – البرهان للزركشي : 1 /235

[3] – الفتح الباري :8 / 646

[4] – مناهل العرفان 1/260–261

وقد وقع الاختلاف في عدد هذه المصاحف :

1 – فقيل: إنها ثمان نسخ.

2 – وقيل: إنها أربع نسخ.

3 – وقيل: إنها خمس نسخ ، قال ابن حجر : "فالمشهور أنها خمسة" وقرره السيوطي في الإتقان. وعلى أي حال فإن الجميع يكاد يتفق على خمسة وهي: الكوفي ، والبصري ، والشامي ، والمدني العام ، والمدني الخاص – الذي حبسه عثمان لنفسه وهو المسمى بالإمام والتي محل خلاف ثلاثة هي : المكي ، ومصحف البحرين ، واليمن . وإن كان بعضهم أضاف مصر.

ولم يكتف عثمان - رضي الله عنه – بتوجيه هذه المصاحف إلى تلك البلدان ، وإنما اختار حفاظًا يثق بهم فأرسلهم إليها ليقرئوا أهل البلد المرسل إليهم مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف

*الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان :

1– الباعث لجمع أبي بكر "خشية أن يذهب شيء من القرآن" , والباعث لجمع عثمان "منع الاختلاف في قراءته" ولم يغير حرفاً مما في مصحف أبي بكر، وأنّى له ذلك , فعن عبد الله بن الزبير قال : قلت لعثمان :والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً قد نسختها الآية الأخرى , فلِمَ تكتبها أو تدعها ؟ قال :يا ابن أخي لا أغيّر شيئاً من مكانه [1].

2 – جمع أبي بكر في مصحف واحد , وجمع عثمان بمعنى نسخه في مصاحف متعددة متحد ة الإقراء بما يوافق رسمه.

---

[1] – رواه البخاري 29/6

3 – أبو بكر جمع القرآن , وعثمان جمع الناس عليه.

* ترتيب الآيات والسور :

حصل الإجماع و تواترت النصوص على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك.

أما الإجماع فنقله غير واحد، منهم: الزركشي في البرهان وأبوجعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته:(ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.)[1]

أما ترتيب السور ففيه خلاف بين العلماء: قال أبوجعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث واثلة أعطيت مكان التوراة السبع الطوال قال: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه في ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن .

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي .

وقال ابن حجر :ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توفيقياً. قال: ومما يدل على أن ترتيبها توفيقي ما أخرجه أحمد وأبوداود عن أوس بن أبي أوس عن حذيفة الثقفي قال كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف الحديث وفيه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:طرأ على حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: كيف تحزبون القرآن؟

---

[1] – الإتقان : 60/1

قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل من ق حتى نختم. قال :فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه .

قال السيوطي رحمه الله: (والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توفيقي إلا براءة والأنفال ، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته صلى الله عليه وسلم سوراً على أن ترتيبها كذلك. وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز.)[1]

والأمر على كل حال سهل ، حتى لقد حاول الزركشي في البرهان أن يجعل الخلاف من أساسه لفظيا فقال : والخلاف بين الفريقين – أي القائلين بان الترتيب عن اجتهاد ، والقائلين بأنه عن توقيف– لفظي ، لأن القائل بالثاني يقول:إنه رمز إليهم ذلك ، لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ، ولهذا قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور كان باجتهاد منهم ، فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي ، أو بمجرد إسناد فعلي ، بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر)[2]. وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا أو اجتهاديا فإنه يتعين احترامه في كتابة المصاحف ، لأنه من إجماع الصحابة، والإجماع حجة.[3]

---

[1] – المصدر نفسه

[2] – البرهان في علوم القرآن : 1 /239

[3] – مناهل العرفان : 1 / 358

المكي والمدني في القرآن الكريم

تمهيد

من المعلوم أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قضى فترة من حياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ثم هاجر إلى المدينة النبوية وأقام فيها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد نزل عليه القرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأودية والسفوح والدور والبراري وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب.

وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول لما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها. وعندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة, وكان المشركون كثرة وللحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم.

والقرآن في مكة يقارع الخصوم ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والترهات، وهم أهل لجاج وعناد، وإصرار واستكبار وظل القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم وأنشأن جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية.

وهاجر الرسول –صلى الله عليه وسلم– بهذه الجماعة والتقى بجماعة أخرى من المسلمين في المدينة وآخى بين الجماعتين ومزج بينهما مزجا كان نتاجه نشأة الدولة الإسلامية الصالحة والمؤهلة لتلقي ما بقي من قواعد الإسلام وأحكام التشريع.

ونزل القرآن على المسلمين في المدينة يبسط أحكام الدين، ويرسي قواعده ويبني المجتمع الإسلامي ويؤسس صرح الدولة.

وبلا ريب أن معرفة ما نزل بمكة في تلك الظروف ولتلك الأهداف والأغراض ومعرفة ما نزل في المدينة, كذلك يعطى منهجا سليما للدعوة الإسلامية ودروسا للدعاة في مختلف الأزمنة والأمكنة.

اصطلاحات العلماء في المكي والمدني :

ذهب العلماء في التمييز بين القرآن المكي والقرآن المدني مذاهب ثلاثة هي:

الأول:أن المكيَّ ما نزَل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواءٌ نزل بمكَّة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفَرٍ من الأسفار. قال يحيى بن سلام: ما نزل بمكَّة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يَبلُغ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ فهو

من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعدَما قَدِم المدينة فهو من المدني. وهذا يُؤخَذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكّي اصطلاحًا.

الثاني:أن المكيَّ ما نزَل بمكةَ ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا فما نزَل بالأسفار لا يُطلق عليه مكّي ولا مدني. ويدخل في مكة ضواحيها؛ كالمنزل بمنًى، وعرفات، والحديبية، وفي المدينة ضواحيها؛ كالمنزل ببدر، وأحُد، وسَلْع.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة.

ولعل الراجح من هذه التعريفات هو التعريف الأول الذي يعتمد زمان النزول, وذلك بجعل زمن الهجرة حداً فاصلاً. فقالوا : ((المكي ما نزل قبل الهجرة؛ وإن كان بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ؛ وإن كان بمكة، وما نزل في أثناء الهجرة قبل أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فهو مكي)) .

وهذا التعريف رجحه العلماء لأنه حاصر وضابط ، ولا تخرج عنه آية من آيات القرآن الكريم خلافاً للقولين الآخرين ، لأن من عرفه باعتبار مكان النزول قالوا : ((المكي ما نزل بمكة وما جاورها كـ (منى ، وعرفات ، والحديبية) والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كـ (أحد ، وقباء ، وبدر) , فإنه غير حاصر ولا ضابط ، إذ ليس كل القرآن اختصر نزوله على هذه الأمكنة؛ بل هناك آيات قرآنية نزلت في تبوك، والطائف، وبيت المقدس وغيرها.

ومن عرَّفه كذلك باعتبار الخطاب؛ وذلك بجعل المكي ما كان فيه يا أيها الناس باعتبار أن الكفر كان غالباً فناسبهم هذا الخطاب, والمدني ما كان فيه يا أيها الذين آمنوا باعتبار أن الإيمان كان غالباً فناسبهم كذلك أن يخاطبهم الله بما هو محبب إلى نفوسهم,

فهو غير حاصر ولا ضابط، إذ ليس كل القرآن مصدر بهذه الألفاظ أو فيه هذه النداءات [1] .

طرق معرفة المكي والمدني :

لمعرفة المكي والمدني في القرآن الكريم منهجان هما:

1 منهج سماعي :يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة والتابعين الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه .

أما النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يرد عنه بيان للسور المكية والسور المدنية لأن هذا مما يشاهده ويحضره الصحابة -رضي الله عنهم- فكيف يخبرهم عن شيء يعلمونه! فالمكي والمدني يعرف بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الباقلاني: "إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في ذلك قول؛ لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم [2]

2 – منهج قياسي اجتهادي: يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني ، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية . وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي ، أو تتضمن شيئاً

---

[1] **– الإتقان في علوم القرآن : 17/1 .**

[2] **– الإتقان في علوم القرآن : 1 / 9**

من حوادثه قالوا: إنها مكية ، وهذا قياسي اجتهادي . ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء ، والأمم الخالية فهي مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية .نقل الزركشي عن الجعبري قوله: "لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها: "يا أيها الناس" فقط، أو كلا، أو أولها حرف تهجٍّ سوى الزهراوين، والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أوحد فهي مدنية[1]

عناية العلماء بالمكي والمدني :

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بموضوع المكي والمدني في القرآن اهتماماً خاصاً ، وتتبعوا القرآن سورة سورة ؛ بل آية آية لمعرفة زمان النزول ومكانه، معتمدين على صحيح المنقول ، وسليم المنظور وفق اجتهاد قائم على أسس وضوابط دقيقة . ويظهر هذا الاهتمام من خلال المعطيات الآتية :

أولاً: عناية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛ قال عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه : (وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)[2] وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول على المنبر: (

---

[1] – البرهان: الزركشي ج1 ص189، وانظر الإتقان، السيوطي ج1 ص17.

[2] – صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل.

سلوني,فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم , وسلوني عن كتاب الله, فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بالنهار، أفي سهل أم في جبل)[1].

ثانياً : تنافس عدد من العلماء في إفراد هذا الموضوع بالتأليف قديماً وحديثاً، منهم مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي (ت : 437هـ) لكن كتابه مفقود. وعبد العزيز بن أحمد بن سعد الدميري المعروف بالديريني (ت : 694هـ) وكتابه كذلك مفقود .

ومن الدراسات الحديثة :

1- خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها د. أحمد عباس البدوي.

2- خصائص السور والآيات المدنية وضوابطها ومقاصدها لـ "عادل محمد صالح أبو العلا .

ثالثاً: لا يخلو كتاب من كتب علوم القرآن القديمة والحديثة من الحديث عن هذا الموضوع، وتفصيل القول حول أهم النقاط التي تتعلق به, مما يدل على أهميته .

رابعاً: جعله العلماء من العلوم الواجبة على المفسر تعلمها. ويحرم على من جهلها أن يتكلم في كتاب الله.

خامساً : الفوائد الكثيرة التي نص عليها العلماء، لمن تعلم ذلك العلم ، وهي فوائد لا غنىً لمعلم، أو متعلم، أو فقيه ، أو داعية عنها .

ضوابط السور المكية والمدنية وخصائصهما الموضوعية :

أولاً : ضوابط السور المكية :

1- كل سورة فيها سجدة فهي مكية . وهي أربع عشرة سجدة هي الأعراف والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وفي الحج سجدتان، والفرقان، والنمل، والسجدة، وفصلت، والنجم،

[1] – جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر . باب في ابتداء العالم جلساءه بالفائدة.

والانشقاق، واقرأ باسم ربك، وأما سورة "ص" فيستحب السجود، وليست من عزائم السجود وزاد بعضهم آخر الحجر. وفي الرعد خلاف[1].

2- كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية , وذكرت ثلاثة وثلاثين مرة, في خمس عشرة سورة ، في النصف الأخير من القرآن ، لأنها كلمة ردع وزجر تناسب عناد المشركين وكبرياءهم.

3- كل سورة مبدوءة بقسم فهي مكية, وهي خمس عشرة سورة هي: "الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، القمر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر" .

4- كل سورة مفتتحة بأحرف التهجي فهي مكية، ما عدا البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع، فيكون الباقي سبعة وعشرين سورة مكية.

5- كل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا فهي مكية إلا سورة الحج ففيها (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا...) الآية :77 . فهي مدنية .

6- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية ما عدا سورة البقرة .

7- كل سورة فيها قصص الأنبياء , والأمم الغابرة ؛ فهي مكية سوى البقرة ، وآل عمران.

ثانياً : ضوابط السور المدنية :

1- كل سورة فيها ذكر الفرائض والحدود فهي مدنية .

2- كل سورة فيها ذكر أهل الكتاب ومجادلتهم فهي مدنية.

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن : 1 /17 – 110.

3- كل سورة فيها ذكر الجهاد ، أو الحث عليه ، أو توضيح أحكامه فهي مدنية .

4-كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية , سوى العنكبوت , وقد ورد في صدرها إحدى عشرة آية ذكر فيها المنافقون وهي مدنية على الراجح .

5-كل سورة فيها يا أيها الذين آمنوا. وليس فيها يا أيها الناس فهي مدنية .

قال السيوطي رواية عن علقمة عن عبد الله "يعني ابن مسعود رضي الله عنه" قال: ما كان يأيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان يأيها الناس فبمكة.. ثم قال :قال ابن عطية وابن الفرس وغيرهما: هو في يأيها الذين آمنوا صحيح، وأما يأيها الناس فقد يأتي في المدني[1]

الخصائص الموضوعية للمكي والمدني :

أولاً : خصائص المكي :

للقرآن المكي خصائص تميز بها في موضوعاته وسمات أسلوبه يمكن إجمالها في ما يلي :

1- بسط القول عن توحيد الله ، وإفراده بالعبادة مع إبطال الشرك ومجادلة المشركين بما يقطع حججهم ويلجم ألسنتهم بالأدلة والبراهين العقلية والآيات الكونية ومع إثبات صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن القرآن كلام الله ، وأن البعث حق . وتفصيل الحديث عن القيامة وهولها ، وذكر الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها .

2- تشريع أصول العبادات، والمعاملات، والأخلاق التي يقوم عليها كيان المجتمع والتي دعت إليها كل الديانات السماوية، كما تتناول فضح جرائم المشركين وما كانوا

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن : 1 /17 .

عليه من سوء العادات كسفك الدماء ، ووأد البنات ، وأكل أموال اليتامى والضعفاء ظلماً ونحو ذلك .

3– ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً وعظة للمشركين ، وتسلية وتثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

أما سمات أسلوب القرآن المكي فتتجلى في الآتي:

1– قصر الآيات والسور غالباً مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، وبلاغة المعنى في أسلوب يكثر فيه التأكيد، والتهديد، والوعيد، وتكرار بعض الآيات .

2 –كثرة السجع والفواصل والتشبيه وضرب الأمثال .

3 –كثرة الأقسام وتنوع صيغها ، جريا على عادات العرب وأساليبهم(والطور– والنازعات–والقلم– والليل– والضحى....)

4 –كثرة الآيات التي تدعو إلى التفكر في الكون الفسيح والتدبر في القرآن الكريم بأسلوب استفهامي استنكاري.

ثانياً : خصائص المدني :

1– بيان العبادات ك ((الصلاة والصيام والزكاة)) ، والمعاملات ك ((النكاح، والطلاق ، والبيوع)) , والحدود ك ((حد الزنا ،والقذف ، والسرقة)) ونظام الأسرة . ونظام الدولة من قواعد وأحكام للسلم والحرب .

2– دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام ، وإقامة الحجة عليهم ، وبيان تحريفهم وانحرافهم ، وكشف سوء ماضيهم وواقعهم ،كما نجد ذلك بصورة واضحة في البقرة ، وآل عمران ، والتوبة .

3- كشف الستار عن حقيقة المنافقين ، وبيان صفاتهم الذميمة ، ونواياهم السيئة ، وخبثهم ، ومكرهم ، وكيدهم ، وخطرهم ، وجبنهم ، وهلعهم ،كما جاء ذلك في التوبة ، والأحزاب ، والمنافقون ، وغيرها .

4- ذكر كل الأحكام الخاصة بالجهاد والحروب والغزوات ، وما بينها من صلح ومعاهدات ، وما فيه من غنائم، وفيء ، وأسر، كما نجد ذلك في : البقرة ، والأنفال ، والتوبة ، ومحمد ، والفتح .

أما سمات أسلوب القرآن المدني فتتجلى في الآتي:

1- طول أكثر الآيات والسور ، بما يتناسب مع البسط لتوضيح شرائع الإسلام وأحكامه في أسلوب يغلب عليه هدوء العبارة ولينها ، وفي خطاب يغلب فيه النداء الإيماني .

2 – استعمال أسلوب مدعم بالحجج والبراهين عند مجادلة أهل الكتاب.

3 – استعمال أسلوب تهكمي عند الحديث عن المنافقين وفضح نواياهم السيئة ومؤامراتهم الدنيئة.

فوائد العلم بالمكي والمدني :

أولاً : يساعد على فهم وتدبر القرآن بصورة دقيقة وسليمة .

ثانياً : الاستعانة به في ربط معاني القرآن بواقع الحياة ووقائعها وأحداثها, فإننا نتعلم من القرآن المكي أن الناس في أوقات ضعف الدعوة وبداياتها يحتاجون إلى أن يزودوا بقصص الأنبياء والصالحين تسلية وتثبيتاً , وكيف صبر أولئك حتى نصرهم الله ، وأهلك عدوهم مع كثرة عددهم وقوة عدتهم ، بأسباب لم تكن في حسابهم ، وأن يذكروا كذلك

بالصبر على الأذى ، والتحمل ، وضبط النفس. فإن هذا التدرج في النزول مدرسة تربوية ، تعليمية لا حدود لها أمام الأمة في طور تأسيسها. ونحن لم نأخذ منها إلا القليل.

ثالثاً : تمييز الناسخ من المنسوخ, وذلك لأن علم الناسخ والمنسوخ قائم على علم المكي والمدني الذي يهتم بتاريخ نزول الآيات والسور، حتى نستطيع تميز المتقدم من المتأخر في النسخ عند التعارض في الأحكام.

رابعاً : الاستفادة من تدرج نزول القرآن الكريم في التعليم والدعوة، خاصة في ترتيب أولويات الخطاب الدعوى؛ وذلك بالبدء بالأهم في معالجة أمراض الأفراد والأمم، إذ أن القرآن المكي ركَّز على إصلاح العقيدة، وتقويم السلوك، والأخلاق، وبعد أن تاب الناس إلى الإسلام نزل الحرام والحلال، وتفاصيل الأحكام. لأن الإنسان إن صلَّى ، وصام ، وحج، وفعل الخيرات؛ لكنه كان مشركاً بالله ما نفعه ذلك عند الله تعالى.

خامساً: الوقوف على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ساير تاريخ الدعوة بمراحلها المختلفة،حيثما كان ، ومن هنا كان القرآن الكريم هو المرجع الأصيل للسيرة النبوية، وعلى قواعده وأصوله يتم تصحيح روايات أهل السير التي ليس لها سند صحيح .

سادساً: معرفة مدى عناية المسلمين واهتمامهم بالقرآن الكريم ، وجهودهم المتواصلة في خدمته حفظاً، وفهماً، ومتابعة لزمان نزوله ومكانه بما يورث الثقة ، ويزرع اليقين في وصول هذا الكتاب إلينا دون زيادة أو نقصان لأن الأمة لم تهتم فقط بنقل النص أو تفسيره ، وإنما اهتموا كذلك بزمان نزوله ومكانه.

سبــاب النــزول

تمـهيد

إن آيات القرآن الكريم تنقسم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

الأول: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة وإنما هو مرتبط بالسبب العام وهو هداية الناس، وهذا القسم هو أكثر آيات القرآن الكريم.

الثاني: قسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة يسميه العلماء "سبب نزول الآية" وآيات هذا القسم هي الأقل ولأهميتها أفردها العلماء بالدراسة والبيان.

أهمية العلم بأسباب النزول

*قال الإمام الواحدي : (هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها،لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[1]

.

*وقال الإمام ابن تيمية: (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[2]

*وقال الإمام الشاطبي: "معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن ..ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل من هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب ولا بد.. والجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع ."

*وقال السيوطي: (زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد)[3] وعلى هذا درج المتأخرون كابن عاشور في: مقدمة التحرير والتنوير ، ومحمد بن حسين الذهبي في: التفسير والمفسرون ، وغيرهم. حيث تحدثوا عن الثمرات الكثيرة والفوائد الجليلة للعلم بأسباب النزول والتي يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: إنه يعين على فهم الآية فهماً صحيحاً, ويؤدي إلى معالجة ما قد يطرأ على البعض من إشكال، وذلك لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. بل إن هنالك جوانب من أسباب النزول يتوقف فهم المراد منها على علمه. ومن ثم فالمفسر لا يستغنى عن

---

[1] – أسباب النزول للواحدي.

[2] – مقدمة في أصول التفسير.

[3] – الإتقان في علوم القرآن

علمه؛ لأن فيها بيان مجمل، أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرا . قال ابن دقيق العيد (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن)[1]

ثانياً: إنه يساعد على إدراك الحكمة التي دعت إلى تشريع بعض الأحكام، ومعرفة مقاصد الشرع، ومراعاته للمصالح العامة، والخاصة في معالجة الحوادث، وحسن رعاية الله لخلقه وسعة سمعه, وعلمه وحكمته .

ثالثا: إنه ييسر للأمة الوعي بكلام ربها ، ويسهل عليها كذلك حفظه لأن معرفة السبب يعين على الفهم, والفهم يعين على الحفظ كما أن ربط الآيات بأحداث معينة يجعلها أكثر رسوخاً في الذهن ، وثباتاً في القلب .

رابعا: إنه يفيد في معرفة من نزلت فيه الآية بعينه، وفي ذلك من الفوائد الشيء الكثير إذ فيه إسناد الفضل لأهله، ونفي التهمة عن البريء. قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، إنه الذي أنزل فيه { والذي قال لوالديه أف لكما }[2] فردت عليه عائشة رضي الله عنها وبينت له سبب نزولها 3

خامساً: إنه يكشف عن وجه من وجوه بلاغة القرآن الكريم؛ وذلك من خلال معرفة مراعاة الكلام لمقتضى الحال . يظهر ذلك من خلال المطابقة والمقارنة بين الحادثة والنص القرآني الذي أنزل فيها ...إلى غير ذلك من الفوائد .

تعريف أسباب النزول:

---

[1] – الإتقان في علوم القرآن.1 / 120

[2] – سورة الأحقاف : 17

[3] الإتقان للسيوطي ص 76 *78

يقتضي تحديد مفهوم أسباب النزول النظر إليه من جهتين اثنتين، جريا على عادة العلماء والباحثين في تعريف الضمائم والمركبات الإضافية: جهة إفرادية وأخرى تركيبية. أي تعريف السبب و تعريف النزول، إذ لكل منهما حقيقته التي تستوجب النظر فيه. ثم تعريف الضميمة المؤلفة من المصطلحين. تعريفا لقبيا، اعتبارا بكون المصطلحين المذكورين يفيدان عند تركيبهما معنى جديدا وحقيقة مفهومية مستقلة . وبيان ذلك نعرض له على النحو التالي:

أولا :مفهوم السبب : السبب في اللغة هو الحبل. ثم استعمل لكل شيء يتوصل به إلى غيره. [1] أما في الاصطلاح فهو ما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه.

ثانيا :مفهوم النزول: النزول في الأصل اللغوي هو انحطاط من علو يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه [2] .

ثالثا :مفهوم أسباب النزول: عرفه عبد العظيم الزرقاني بقوله (سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه)[3].

وقال الشيخ مناع القطان في تعريفه : هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال[4].

---

[1] لسان العرب ابن منظور مادة سبب

[2] مفردات غريب القرآن للأصفهاني ماد نزل ص 488

[3] مناهل الرفان في علوم القرآن للزر قاني ص 106

[4] مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص 78

* فقولنا "ما نزل قرآن بشأنه "فإنه قد يكون النازل آية كما كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ حين أَنْزَلَ اللَّهُ (يسألونك عن الأنفال قُل الأنفالُ للهِ والرَّسولِ فاتّقوا الله وأَصلحوا ذاتَ بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كُنتم مؤمنين)[1] وقد يكون النازل آيات كما جاء في نزول سورة الضحى. وقد يكون النازل سورة من القرآن الكريم كما جاء في نزول سورة المسد ?.

* وقولنا "وقت وقوعه" : فإنه قد تنزل الآيات أو السورة بعد الحادثة أو السؤال مباشرة كسورة المسد, وقد يتأخر نزول الآية عن السبب أو السؤال بعض الوقت لحكمة أرادها الله تعالى كحادثة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك حيث نزلت بعد أربعين يوماً. وكحادثة الإفك التي نزلت بعد شهر من الواقعة، وكالسؤال عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين نزلت الآيات بعد خمسة عشر يوماً من سؤالهم.

أما إذا كانت الحادثة وقعت في الأمم الماضية وقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرتبط بها سؤال فإنها لا تدخل في أسباب النزول، كالحوادث التي وقعت بين موسى وفرعون، وكحادثة إبراهيم عندما ألقي في النار، وكحادثة أصحاب الأخدود، وكحادثة أصحاب الفيل، فكل ذلك يدخل في باب القصص والأخبار عن الأمم الماضية. ولا يدخل في علم أسباب النزول.

* وقولنا " كحادثة " قد تكون الحادثة مرتبطة بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بزوجات النبي صلى الله عيه وسلم ، أو ببعض أصحاب النبي صلى الله عيه وسلم ، أو ببعض المشركين , واحداً أو جماعة منهم ، أو بالمنافقين، واحداً أو جماعة ، أو بأهل الكتاب، واحداً أو جماعة منهم .

---

[1] – سورة الأنفال.

* "أما السؤال" فقد يتعلق بأمر ماضي كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1] . فهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن خبر هذا الملك العادل الذي ملك مشارق الأرض ومغاربها . وقد يكون السؤال متعلقا بأمر حاضر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾[2] .

ويحسن التنبيه على أنه لا يلتمس لكل آية سبب نزول معين ومحدد ، لأن نزول القرآن الكريم لم يكن متوقفاً كله على سبب نزول خاص. وإنما أغلبه نزل للسبب العام، كما قال الجعبري: (نزل القرآن على قسمين ، قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال)[3].

نشأة وتطور علم أسباب النزول:

حظي العلم بأسباب النزول بعناية كبيرة من لدن المتخصصين قديما وحديثا، وتظهر هذه العناية من خلال ما يلي :

أولا : التذكير النبوي بسبب النزول: فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لفت الأنظار إلى علم أسباب النزول، ويمكن أن نستدل لذلك بما روي: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم عبد الله بن أم مكتوم الذي نزلت فيه:{عبس وتولى أن جاءه الأعمى}[4]،ويقول فيه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي. وفي هذا اهتمام منه صلى الله عليه وسلم

---

[1] – سورة الكهف .

[2] – سورة البقرة :222

[3] – الإتقان في علوم القرآن. 1 / 120

[4] – سورة عبس

بمن نزلت فيه الآيات، وتعريف به، وإظهار له. وهذا هو علم أسباب النزول بعينه. كما أن في قول النبي صلى الله عليه وسلم :«بلغوا عني ولو آية»، ما يمكن الاستدلال به على ذلك، إذ كان علم أسباب النزول قائما على النقل المرفوع الصحيح.

ثانيا : اهتمام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بعدهم من التابعين به. فقد روى الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن مسروق قال عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه :(وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، ولا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)[1].

و أخرج الإمام مسلم عن طارق بن شهاب قال: (جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: وأي آية ؟ قال:{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم جمعة)[2].

وأخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من طريق أبي بكر بن عياش، عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي قال: (والله ما نزلت أية إلا وقد علمت فيما أنزلت، وأين أنزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً)[3].

وأما التابعون فكان لهم الحظ الأوفر من هذا العلم، وروي عنهم ما يدل على

---

[1] – جامع البيان في تأويل آي القرآن

[2] – أخرجه البخاري ومسلم

[3] – حلية الأولياء

اهتمامهم به، كما ذكر السيوطي في الإتقان عن أيوب قال: سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن، فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار إلى سلع.

ثالثاً: تأكيد العلماء على أهمية هذا العلم للمفسر, حتى يستطيع أن يفهم كثيراً من الآيات المتعلقة بأسباب النزول فهماً صحيحاً

رابعا :هنالك عدد كبير من العلماء أفرد هذا الموضوع بمؤلفات ودراسات خاصة وهي كثيرة منهم :

1- علي بن المديني شيخ البخاري (ت:234 هـ) له كتاب مخطوط لم يطبع.

2- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: 468 هـ) له "أسباب النزول" وهو من الكتب القيمة المفيدة جداً .

3- ابن الجوزي (ت:597 هـ) له كتاب " أسباب نزول القرآن " .

4- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ) له كتاب "العجاب في بيان الأسباب".

5- الإمام السيوطي (ت: 911 هـ) له كتاب "لباب النقول في أسباب النزول" وهو كتاب حافل موجز محرر لم يؤلف مثله في هذا النوع.

خامسا : لا يخلو كتاب من كتب علوم القرآن من إفراد هذا الموضوع ببحث خاص. قال الزركشي: (وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم، وأفردوا فيه تصانيف)[1]

الصيغ الدالة على سبب النزول:

استقرأ العلماء الألفاظ التي استعملت في الروايات المختلفة للدلالة على أسباب النزول فقسموها إلى قسمين :

---

[1] – البرهان في علوم القرآن.

القسم الأول : ألفاظ صريحة في السببية ، وهي الألفاظ التي تنص على السببية ولا تحمل غيره، وهي التي صرح فيها الراوي بسبب النزول كأن يقول: (سبب نزول هذه الآية كذا)أو يقول:(حدث كذا فأنزل الله كذا) ، بأن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على سبب النزول بعد ذكر سببها ، فهذه الألفاظ نصٌ صريحٌ في السببية .

القسم الثاني : ألفاظ محتملة للسببية، ولغيرها لما تضمنته الآية من أحكام. فهي ليست نصاً صريحا في السببية. كأن يقول الراوي: (نزلت هذه الآية في كذا). قال الزركشي:(قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: أنزلت هذه الآية في كذا؛ فإنه يريد بذلك أنها تضمنت هذا الحكم. لا أن هذا كان هو السبب في نزولها ، وهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع)[1].أو أن يقول الراوي : أظن أو أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا.

وحيث إن الروايات قد تتعدد في ذكر سبب نزول الآية الواحدة ، فقد ذكر العلماء في ذلك احتمالات ثلاثة:

1- إما أن يكون الجميعُ غيرَ صريح في السببية.

2- وإما أن يكون الجميعُ صريحًا في السببية.

3- وإما أن يكون البعض صريحًا في السببية والبعض غير صريح.

فإذا كان الجميع غير صريح في السببية فلا ضرر؛ إذ يحمل الجميع على أنه تفسير للآية أو بيان للحكم المأخوذ منها.

---

[1] – البرهان في علوم القرآن

وإذا كان بعضُه صريحًا وبعضُه غيرَ صريح، فالمعتمد عند المجتهد هو الصريح دون غيره.

وإذا كان الجميع صريحًا، فلا يخلو الأمرُ من أن يكون البعضُ صحيحًا والبعضُ غير صحيح من جهة السند، فالصحيح الصريح هو المعتمد.

فإذا كان الجميعُ صحيحًا صريحًا فيُرجّح الراجح بقرائن، أو يصار إلى الجمع إن أمكن، أو يحمل على القول بتكرار النزول.

وحتى يزداد الأمر وضوحا وبيانا فإننا نورد بعض الأمثلة التطبيقية على النحو الآتي:

1 – إذا لم تكن الصيغُ الواردة في سبب النزول صريحةً فلا منافاة بينها؛ إذ المراد التفسير أو بيان الحكم، وليس المراد سبب النزول إلا إذا قامت القرينةُ على واحدة منها بأن المراد بها السببية.

2 – إذا كانت إحدى الصيغ غيرَ صريحة وصرح أحدُها بذكر سبب مخالف، فالمعتمد هو ما نص فيه على السببية، وتُحمل الأخرى على دخولها في أحكام الآية.

مثال ذلك ما روي عن جابر: (كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجلُ امرأتَه من دُبُرها في قُبُلها كان الولدُ أحولَ، فنزلت ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾)[1]. فهذه الرواية هي المعتمدة أما كلام ابن عمر: أنزلت في إتيان النساء في أدبارهن كما في رواية البخاري، فليس بنص في سبب النزول، فيحمل كلامه على أنه استنباط وتفسير.

[1] – رواه البخاري ومسلم

3 – إذا تعددت الرواياتُ وكانت جميعُها نصًّا في السببية، وكان إسنادُ أحدها صحيحًا دون غيره ، فالمعتمد الرواية الصحيحة. مثال ذلك روايتان في سبب نزول سورة الضحى:

إحداهما: ما رواه الشيخان عن جُندَب البَجَلي قال: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فأتته امرأةٌ فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[1])[2].

وثانيهما: رواها الطبراني: عن حفص بن ميسرة القرشي قال: حدثتني أمي عن أمها –وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم– : أن جروًا دخل البيت ودخل تحت السرير ومات، فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيامًا لا ينزل عليه الوحي،. فقال: "يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ جبريل لا يأتيني، فهل حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث؟!"، فقلت: ما أتى علينا يوم خيرٌ من يومنا، فأخذ برده فلبسه وخرج، فقلت: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويتُ بالمكنسة إلى السرير، فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته، وكان إذا أتى الوحي أخذته الرعدة، فقال: "يا خولة دثريني"، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾.

---

[1] – سورة الضحى: 1–3

[2] – رواه الشيخان.

فالرواية الأولى هي المعتمدة لصحة السند لأنها مخرجة في الصحيحين، وأما رواية الطبراني فضعيفة.

4 – إذا تساوت الروايات في الصحة، ووُجد وجهٌ من وجوه الترجيح؛ مثلُ حضور القصة مثلا، أو كونِ أحدهما أصحَّ والأخرى صحيحة، قُدمت الرواية الأصح. مثال ذلك روايتان ذكرتا في سبب نزول: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾[1].

الرواية الأولى: عن عبد الله بن مسعود قال: بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه؛ لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾)[2].

الرواية الثانية: عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾)[3]. فهذه الرواية تقتضي أن الآية نزلت في مكة. وقد رجح العلماء ذلك بقرينة وجود ابن مسعود مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وشهوده القصة في الرواية الأولى. ومع هذا فقد رجح بعضُ أهل العلم الجمع بين الروايتين قائلين بأن الآية نزلت مرتين: مرة في مكة ومرة في المدينة

---

[1] – الإسراء: **85**

[2] – رواه البخاري

[3] – رواه الترمذي وصححه.

5 – إذا تساوت الرواياتُ عند الترجيح جُمع بينهما إن أمكن، فتكون الآية نزلت بعد السببين أو الأسباب لتقارب الزمن بينهما. مثال ذلك آيات اللعان في سورة النور، وهي قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ *وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ *وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ *وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ *وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. هذه الآيات ورد في سبب نزولها روايتان:

الأولى: ما ثبت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن عُوَيمرًا العجلاني قال لعاصم بن عدي: أرأيتَ لو أن رجلاً وَجَد مع امرأته رجلا أيقتُله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فسل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسائلَ وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن عويمرًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: " قد نزل فيك وفي صاحبتك، فاذهب فأتِ بها"، فتلاعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

الثانية :ما رواه البخاري: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "البينة أو حدٌّ في ظهرك"،

---

[1] – سورة النور: **4–10**

[2] – متفق عليه

فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدُنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "البينةُ وإلا حَدٌّ في ظهرك" فقال والذي بعثك بالحق إني لصادق. فنزل قوله تعالى : والذين يرمون أزواجهم .....)[1].

وقد جمع العلماءُ بينهما قائلين بأن حادثة هلال وقعت أولا، وصادفها مجيء عويمر كذلك، فنزلت الآيات في شأنهما معًا بعد حادثتيهما.

6 – إذا تعذر الجمعُ لتباعد الزمن، فإنه يحمل على تعدد النزول وتكرره.

ومن الآيات التي ورد فيها أكثرُ من رواية في سبب النزول وهي روايات صحيحة: قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[2] . ورد في سبب نزولها روايات منها:

الأولى: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك"، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ الآية.)[3].

---

[1] – رواه البخاري

[2] – سورة التوبة: **113**

[3] – متفق عليه

الثانية: عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيمُ لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ الآية)[1].

الثالثة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يومًا إلى المقابر، فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها، فناجاه طويلا، ثم بكى فبكينا، فقال: "إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي، وإني استأذنتُ ربي في الدعاء لها، فلم يأذن لي، فأنزل علي: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ الآية.)[2].

وقد جمع بين الروايات الثلاث عند القائلين بتعدد نزول الآية في أكثر من موطن. ومع ذلك يرى بعضُ أهل العلم أن الترجيح بين الروايات أولى من القول بتعدد نزول الآية.

ولما كانت جزئيات وفروع هذا العلم لا تكاد تنحصر، ويصعب على الطلاب الإحاطة علما بكل مسائله وتفريعاته ، فقد حاول بعض الدارسين إعادة صياغة مباحثه ضمن قواعد كلية نعرض لبعضها على النحو الآتي:

قواعد أسباب النزول:

---

[1] – رواه الترمذي وحسنه.

[2] – أخرجه الحاكم

تحدث الدكتور خالد السبت عن مجموعة من القواعد المؤطرة لمباحث أسباب النزول منها:

1 – قاعدة : [القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع]

2 – قاعدة : [سبب النزول له حكم الرفع][1]

3 – قاعدة : [الأصل عدم تكرار النزول][2]

4 – قاعدة : [قد يكون سبب النزول واحدا والآيات النازلة متفرقة والعكس][3]

5 – قاعدة : [العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب][4]

وحيث إن المقام لا يسمح بتفصيل القول في هذه القواعد كلها فإننا نقتصر على دراسة واحدة منها تكون مثالا لغيرها. وهي قاعدة :هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب ؟. ذلك أن العلماء

قسموا النازل من القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : أن يكون السبب خاصاً واللفظ النازل خاصاً .

ثانياً : أن يكون السبب عاماً واللفظ النازل عاماً .

فهذان النوعان لا خلاف بين العلماء في حمل كل منهما على الآخر وذلك للمطابقة بين السبب واللفظ المنزل .

---

[1] – قواعد التفسير جمعا ودراسة للدكتور خالد بن عثمان السبت . ص54 دار ابن عفان.

[2] – المصدر نفسه . ص62

[3] – المصدر نفسه . ص65.

[4] – المصدر نفسه . ص593 .

ثالثاً: أن يكون السبب خاصاً, واللفظ النازل عاماً. فهذا الذي يعنينا في هذا السياق وهوالذي اختلف العلماء فيه على مذهبين :

المذهب الأول :وهو مذهب الجمهور الذي يرى أن اللفظ العام إذا ورد على سبب فإنه يبقى على عمومه ولا يقصر على سبب وروده. وهذا قول عامة أهل العلم من الفقهاء والأصوليين منهم أبو حنيفة ومالك في إحدى الروايتين عنه والشافعي وأحمد في الصحيح من مذهبهما.[1]. واستدلوا على ذلك بجملة من الأدلة النقلية والعقلية أهمها:

1 – ما ثبت عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله عز وجل قوله : { أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات }[2] فقال الرجل : يارسول الله ألي هذا ؟ قال: (لجميع أمتي كلهم)[3] يقول العلامة الشنقيطي رحمه الله في مذكرته في معرض الاستدلال لهذه المسألة : قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم ألي هذا وحدي يارسول الله؟ ومعنى ذلك : هل حكم هذه الآية يختص بي لأني سبب نزولها أم لا ؟ فأفتاه النبي صلى الله عليه وسلم بأن العبرة بعموم لفظ الآية لا بخصوص السبب حيث قال: (بل لأمتي كلهم) ثم قال رحمه الله وهو نص نبوي في محل النزاع.[4]

---

[1] – أثر اختلاف العلماء في تخصيص العموم بسبب وروده دراسة وتطبيق على قسم العبادات تأليف علي منصور عطية. رسالة ماجستير. ص176.

[2]– سورة هود 144

[3] – رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة برقم 526 . ص44 ومسلم في كتاب التوبة برقم 39 ص1157.

[4] – مذكرة الأصول لمحمد المختار الجكني الشنقيطي. ص329 . دار عالم الفوائد.

2 – ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ألا تصليان؟) فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإن شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا, ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}[1] فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عليا داخلا فيها مع أن سبب نزولها الكفار الذين يجادلون في القرآن.

3 – إجماع الصحابة ومن بعدهم على عدم قصر اللفظ العام على أسباب خاصة. فقد استدل الصحابة ومن بعدهم بآيات عامة نزلت على أسباب خاصة من غير نكير، فدل هذا على إجماعهم على عدم قصر اللفظ العام على سببه الخاص.[2] والآيات في ذلك كثيرة جدا، منها على سبيل المثال : آية اللعان ؛ فقد كان سبب نزولها ما روى الإمام أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم في شأن هلال بن أمية, أو عويمر العجلاني لما قذف زوجته بالزنا ولم يقصر الصحابة حكمها على هذا السبب بل عمموه في كل من يقذف زوجته.[3] وما قيل هنا يقال في آية الظهار وآية الإفك. وغير ذلك من الآيات.

ومن الأدلة العقلية التي استدلوا بها ، قالوا إن الخطاب العام ورد في مكان معين وفي زمان معين ومع ذلك لا يقتصر به على المكان ولا الزمان، فكذلك لا يقتصر به

---

[1] – رواه البخاري في كتاب الجمعة 4724. ص325, ومسلم في كتاب: صلاة المسافر برقم: 206 ص800

[2] – أثر اختلاف العلماء في تخصيص العموم بسبب وروده. ص179

[3] – تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني ج3 ص224.دار الكتب العلمية

على السبب ، وفي هذا يقول أبو يعلى الفراء مقررا لهذا الدليل : (ولأن الخطاب قد ورد في زمان ومكان ثم لا يقتصر به على المكان والزمان كذلك لا يقتصر به على السبب.)[1]

هذه أبرز أدلة الجمهور وإلا فقد أوصلها بعض الباحثين إلى ما يربو عن اثني عشر دليلا.[2]

المذهب الثاني: مذهب القائلين بأن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

وهو مروي عن الإمام مالك والشافعي وأحمد وقال به جمع كثير من أهل العلم كأبي ثور والمزني وغيرهم. وإلى بعض ما قيل يشير الإمام القرافي في العقد المنظوم قائلا: (والحق أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب خلافا للمزني وأبي الثور فإنهما زعما أن خصوص السبب يكون مخصصا لعموم اللفظ. قال إمام الحرمين : وهو الذي صح عن الشافعي – ثم يقول القرافي رحمه الله– ونقل عن أبي حنيفة رحمه الله تخصيصه به وهو بعيد جدا.)[3] . و نظرا للغموض الذي يكتنف رأي الأئمة الأربعة في هذه المسألة فقد أفرد بعض الباحثين جزءا هاما من رسالته لتحرير القول في المسألة مؤكدا أن الصحيح عند الأئمة هو أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.[4] وقد استدل أصحاب هذا المذهب بأدلة عقلية منها:

---

[1] – العدة محمد بن اسماعيل الصنعاني ج2 ص609 . المكتبة السلفية بالقاهرة – مصر.

[2] – ينظر كتاب أثر اختلاف العلماء في تخصيص العموم بسبب وروده. ص 177– 185

[3] – العقد المنظوم في الخصوص والعموم لشهاب الدين القرافي. ص361. دار الكتب.

[4] – ينظر أثر اختلاف العلماء في تخصيص العموم بسبب الورود. ص201

1 – أنه يترتب على القول بعموم اللفظ : ألا يكون هناك فائدة لأسباب النزول أو لبيانها على الرغم من اجتهاد العلماء في نقل هذه الأسباب واهتمام علماء التفسير بها . ولا تظهر الفائدة من ذلك إلا بالقول بأن العبرة بخصوص السبب.

2 – يقولون أنه لو كان الحكم ثابتا في سبب الورود وغيره لما أخر الشارع البيان إلى وقوع تلك الواقعة؛ أو ورود ذلك السؤال ، لكنه أخر بيان الحكم إلى وقوعها. فدل ذلك على أن المراد بيان حكم السبب لا غير. وإذا كان المقصود إنما هو بيان حكم السبب لا غير وجب الاقتصار عليه.[1]

وحيث إن المسألة خلافية ، كما هو مبين من صياغتها الاستفهامية ، فإنه يتعين معرفة حقيقة الخلاف وتحرير محل النزاع فيها.

أما حقيقة الخلاف فيوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مقدمته في أصول التفسير بقوله : (والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرا أو نهيا. فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإذا كانت خبرا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته.)[2] فمن خلال هذا النص يظهر أن كلا الفريقين قد اتفقا على أن أحكام اللعان والظهار والسرقة وغيرها مما نزلت بحسب حوادث خاصة:

---

[1] – الإحكام في أصول الأحكام للآمدي. ج2 ص241 المكتبة الإسلامية – دمشق

[2] – شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية . تأليف الدكتور مساعد بن سليمان الطيار. ص86. دار ابن الجوزي .

هي عامة لمن نزلت بسببهم ولغيرهم. لكن الفريق الأول أخذ الحكم عن طريق اللفظ العام. بينما الفريق الثاني أخذه عن طريق القياس. أي قياس الحوادث المتشابهة على ما حدث لعويمر وهلال ، وأوس على ما حدث لهؤلاء.[1] وهذا يفيد أن جوهر الخلاف لا يتعلق بجواز تعدية الحكم، وإنما يتعلق بآلية التعدية هل هي اللفظ العام أو الاجتهاد والقياس؟.[2] والله تعالى أعلم بالصواب .

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

تمهيد :

[1] – أثر أثر اختلاف العلماء في تخصيص العموم بسبب وروده ص199

[2] – أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص د. عماد الدين محمد الرشيد .ص415. رسالة دكتوراة .

(المحكم) و(المتشابه) لفظان متقابلان، إذا ذُكِرَ أحدهما استدعى الآخر ضرورة. وهما بحثان رئيسان من أبحاث علوم القرآن، أفاض العلماء القول فيهما، وتفاوتت أنظارهم في تعريفهما وحقيقتهما، وهما كذلك بحثان مهمان من أبحاث أصول الفقه.

فقد وصف القرآن الكريم" بالإحكام "مطلقا، في تعالى: (الر كِتاب ٌأحكِمت آَياته)[1] وذلك بالنظر لإحكام نظمه وإتقانه، أو من" الحكمة "التي اشتملت عليها آياته . ووصف كله بالمتشابه" في تعالى . [اللهُ نزلَ أحسن الحَدِيثِ كِتابا متشابِها)[2] . أي :يشبه بعضه بعضاً في مقاصده، وهدايته، وبلاغته، والتحدي به، وإعجازه في نظمه، وأسلوبه، وحكمته وإحكامه وأحكامه، وسلامته من كل عيوب الخطاب؛ كالتناقض، والاختلاف، والتفاوت:(ولَو كَانَ مِن عِندِ َ غيرِ اللهِ َلوجدوا فِيهِ اختِلَافًا كَثِيرا)[3] .

هذا عن الإحكام والتشابه بالمعنى العام، أما المعنى الخاص لهما فقد ورد في قوله تعالى : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات.....)[4] وهو يدل على تركز هذه الصفة، أو تلك في بعض المواضع من القرآن الكريم أكثر من غيرها؛ مما جعلها أم الكتاب وجعل الأخرى ، أكثر قابلية لتعدد الفهم، والتأويلات، واستيعاب ما تفرزه القرون من مشكلات،إذا أخذت وحدها منفصلة عن غيرها، علما أنه لا بد من أخذهما معا؛ ليبرز المكنون القرآنيّ في صورة .(آيات مبيناتُ) .

---

[1] – سورة هود : 1

[2] – سورة الزمر :23

[3] – سورة النساء : 82

[4] – سورة آل عمران.

وقد استشكل البعض ورود المتشابه بمعنى الملتبس في القرآن الكريم الذي أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وتساءل عن الحكمة من ذلك فأجاب الزركشي قائلا(الأمر لا يخلو من حالتين :

الحالة الأولى: إن كان يمكن علمه فله فائدتان:

الأولى حث العلماء على النظر والبحث والتدبر في آيات الكتاب المجيد.

الثانية : إثبات التفاضل والتفاوت في العلم بين العباد ، إذ لو كان القرآن الكريم كله محكما لاستوت منازل الخلق في فهمه ولم يظهر فضل العالم على الجاهل، ولم يتبين فضل الذي يعلم حقيقة القول على الذي يعلم ظاهره. وقد جعل الله بعض القرآن محكما ليكون أصلا يرجع إليه . وجعل بعضه متشابها يحتاج إلى الاستنباط وإعمال العقل ورده إلى المحكم.

الحالة الثانية: إن كان لا يمكن علمه فله فائدتان:

الأولى ابتلاء العباد بالوقوف عند المتشابه من الآيات دون الخوض في تأويلها بما لا تحتمله من وجوه التأويل ، وتفويض الأمر فيها إلى الله جل جلاله.

الثانية: إن الله تعالى احتج على العرب بالقرآن ، إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة وحسن البيان والإيجاز والإطناب والمجاز والكناية والإشارة والتلويح، وهكذا اشتمل القرآن على هذه الفنون جميعها تحديا وإعجازا لهم.[1]

وقد اشتد تحفظ بعض الدارسين عن وجود ما لا سبيل إلى علمه لشدة غموضه والتباسه،واعتبر **الغموض والالتباس، من عيوب الكلام، وهو يقع إما بقصدٍ من**

[1] – البرهان في علوم القرآن للزركشي.

المتكلم، أو على غير قصدٍ منه، أو أن يكون لا سبيل أمامه إلا التعبير بهذه الصيغة الغامضة لعي فيه، أو لقصور في آللغة .

أما الاحتمال الأول :فينافي ما يفهم من القرآن الكريم ذاته بأنه بيان للناس ليقطع حجتهم.

وأما الاحتمال الثاني، والثالث فلا يتصور إلا في حق المخلوق .أما الاحتمال الرابع فمردود أيضا بقوله تعالى: (قُلْ ۘلئِنِ اجتمعتِ الإِنس والجْن علَى ۘأنْ يأْتوا بِمِثْلِ هذَا الْ ُقرءَانِ لا يأْتونَ بِمِثْلِهِ ولَو كَانَ بعضهم لِبعضٍ ۘ ظهِيرا)[1] فهذه الآية تدل على أنَّ بنية القرآن الكريم، وإن استخدمت لسانا بشريا وخاطبت بشرا، فإنها طوعت هذا اللسان ليكون أهلا لحمل الخطاب الإلهي للقرآن الكريم[2].

ومن اجل تبين وبيان مباحث المحكم والمتشابه في القرآن الكريم يتعين تحرير مفهومهما وتحديد مصطلحهما في اللغة وفي الاصطلاح ثم في لسان القرآن الكريم.

تعريف المحكم والمتشابه:

1 - المحكم

[1] – سورة الإسراء : 88

[2] – نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه في القرآن الكريم. طه جابر العلواني.

أ – المحكم في اللغة : قال ابن فارس :الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع [1]. وهو مأخوذ من حَكَمْتُ الدابة وأحكمتها، بمعنى أحكمت وثاقها، ومنعتها من التفلُّت والهرب. وإحكام الكلام: إتقانه وتمييز الصدق فيه من الكذب[2].

ب – المحكم في الاصطلاح : المحكم في الاصطلاح له معان عدة منها:

– ما أنبأ لفظه عن معناه من غير أن ينضم إليه لفظ يبيّن معناه، سواء أكان اللفظ لغوياً أم عرفياً، ولا يحتاج إلى ضرب من ضروب التأويل.

– المحكم ما استقلّ بنفسه. والمحكمات هي آيات واضحة المُراد، ولا تشتبه بالمعنى غير المُراد. وغيرها من المعاني[3]. قال الراغب الأصفهاني "المحكم :"ما لا تعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى [4]. وقيل:

– المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور أو بالتأويل.

– المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً.

– المحكم هو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.

– المحكم هو المتقن الذي لا يتطرق إليه الإشكال

2 – المتشابه:

أ – المتشابه في اللغة . قال ابن فارس: الشين والباء والهاء أصل واحد يدلّ على تشابه

---

[1] – معجم مقاييس اللغة، .، مادّة"حكم"

[2] – لسان العرب لابن منظور.

[3] – البرهان في علوم القرآن للزركشي. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

[4] – مفردات ألفاظ القرأن ، مادّة"حكم"

الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً ...والمشبّهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا[1] .

ب -المتشابه في الاصطلاح :ذُكِرَت للمتشابه معان عدّة، منها :

– ما كان المراد به لا يُعرَف بظاهره، بل يحتاج إلى دليل، وهو ما كان محتملاً لأمور كثيرة أو أمرين، ولا يجوز أن يكون الجميع مراداً.

– ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدابة والدجال.

– ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

– ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ

قال الراغب الأصفهاني: "الْمُتَشَابِه من القرآن: ما أُشكِلَ تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللَّفظ، وإمّا من حيث المعنى[2]. وقد أغفل الراغب في تعريفه هذا – سهوا أو عمدا – النوع الثالث من التشابه الذي قد يتعلق باللفظ والمعنى معا.

3 - المحكم والمتشابه في استعمال القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (.. إن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه. وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه. فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه، والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه. قال تعالى:(الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ)[3] فأخبر أنه أحكم آياته كلها. وقال تعالى :(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

---

[1] – معجم مقاييس اللغة : مادة شبه.

[2] – معجم مفردات ألفاظ القرآن . مادة شبه.

[3] – سورة هود 1

مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ)[1] فأخبر أنه كله متشابه . وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام، بل هو مصدق له. فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا، ولا يناقض بعضه بعضاً. بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه الخاص. فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه، مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك .

ولكتاب الله لسان خاص به، وله خصائصه المتفردة، وقانونه الَّذِي لا يعرف إلا باستقراء معهوده، وإدراك نظمه، وسياقه، وأساليبه، وعاداته . والقرآن الكريم كلّ متكامل ذو وحدة بنائية، يفهم الجزئي منه بالرد إلى الكلي في وحدته البنائية. ومن يفعل ذلك ويلتزم به لا يمكن أن يفهم أنَّ الآيات المتشابهات هي الآيات الغامضة الملتبسة فإنه لا يمكن أن يقع الغموض والالتباس في الخطاب الإلهي الَّذِي نص على كونه بيانا للناس، وتبيانا لكل شيء ومبينا، وآياته مبينات. فإنه لو حدث هذا لكان رد من تحداهم القرآن، بأنّ هذا التحدي جرى في أمور متشابهة،موهمة غير مفهومة، ولاحتجوا بأنَّ ذلك مصدر عجزهم وليس الأسلوب، والنظم، والبلاغة، والفصاحة[2].

ولعل أهم من حاول تخليص معنى المتشابه من معنى الغموض، والالتباس هو الإمام ابن تيمية، حيث يرى في كتابه تفسير سورة الإخلاص :"أنه ليس في القرآن ألفاظ ملتبسة، أو كلام لا يفهم معناه مطلقاً. وعلى هذا فكل القرآن محكم بهذا المعنى، وأن ما عد متشابهاً فهو إضافيّ، إذا اشتبه فيه الضعيف لا يشتبه فيه الراسخ". ولعل هذا الفهم هو

---

[1] – سورة الزمر 23

[2] – نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه في القرآن . طه جابر العلواني.

الذي حماه ووقاه ومن تابعه، من التيه في فيافي تلك الأقوال المتناقضة في تأويل الصفات . وقد دعم مقولته ببيانه لمصطلح" التأويل"، وعزوه غلط المتناولين لهذه المسألة إلى غلطهم في معنى" التأويل"؛ لأنهم فسروه بالمعنى الاصطلاحي، وأكد خطأ هذا الاتجاه في تفسير كلمات القرآن" بالمواضعات الاصطلاحية"، وأكد أنَّ ذلك قد كان منشأ غلط يصعب حصره؛ والسبيل الوحيد للتخلص منه هو بناء مفاهيم القرآن و مصطلحاته بناءً قرآنياً.

قال ابن تيمية : (ذكر التأويل في سبع سور من القرآن الكريم[1] ؛ وبعد أن استعرض الكثير من أقوال المفسرين خلص إلى معنى قرآنيّ يدل على القدر المشترك بين معاني آيات السور السبع التي ورد فيها مفهوم" التأويل"، فقال" :تبين من هذه الآيات أنَّ لفظ التأويل لم يرد في القرآن إلاّ بمعنى"الأمر العملي الذي يقع في المآل تصديقاً لخبر أو رؤيا، أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل"، ثم قال" :فيجب أن تفسر آية آل عمران بذلك، ولا يجوز أن يحمل التأويل "فيها على المعنى الذي اصطلح عليه قدماء المفسرين، وهو جعله بمعنى" التفسير"، ولا على ما اصطلح عليه متأخروهم، ولا على قول أهل الأصول .ثم بين كيف اعتمدت الفرق الباطنية على المعنى الاصطلاحي حيث أخذوا يؤولون كثيراً من آيات القرآن ومفرداته إلى معانٍ باطلة يرونها ويتمسكون بها[2]. ثم عاد ابن تيمية – يرحمه الله –إلى توكيد مقولته التي انطلق منها، فقال ..." :إنّ معنا الدلائل الكثيرة على أنّ جميع القرآن مما يمكن علمه، وفهمه، وتدبره، وهذا مما يجب القطع به... ونفى أن يكون أحد من السلف، أو الإمام أحمد، يرى أن في القرآن آيات لا يعرف الرسول – صلى الله عليه وآله

---

[1] – هي: سورة آل عمران،سورة النساء،سورة الأعراف،سورة يونس ، سورة يوسف، ،سورة الإسراء، سورة الكهف

[2] – الإكليل في المتشابه والتأويل. ابن تيمية.

وسّلم –ولا غيره معناها، وأنهم كانوا يتلون لفظاً لا يعرفون معناه، وأكد أنَّ هذا الذي قرره هو اختيار كثير من أهل السنة؛ وذكر أقوال بعضهم في هذا الصدد، كما استدل بآثار بعض الصحابة والتابعين :أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي – صلى الله عليه وآله وسلم–عشر آيات لم يغادروها حتى يتعلموا ما فيها، قالوا :فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ثم قال :وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن إلاّ ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه، لا لأنّ أحداً من الناس لا يعلمه، لكن لأنه هو لا يعلمه. ثم استدل بعموم الآيات الآمرة بتدبر القرآن، وأنه سبحانه لم يستثنِ، ولم يقل :لا تتدبروا المتشابه، ومعلوم أن التدبر بدون الفهم ممتنع، ولو كان من القرآن ما لا يتدبر فإنه لم يعرف، فإنَّ الله لم يميز المتشابه بحد ظاهر حتى يجتنب تدبره.....فالكلام إنما المقصود به الإفهام، فإذا لم يقصد به ذلك كان عبثاً وباطلاً !!والله قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث. فكيف يقول الباطل والعبث، ويتكّلم بكلام نزله على خلقه لا يريد به إفهامهم؟. وقد أشار إلى أنَّ" المتشابه "هو :الموضوعات التي تشبه ما كان قد نزل على أهل الكتاب مستدلا على ذلك بدليل السياق القرآني. ذلك أن صدر سورة" آل عمران "إلى أكثر من ثمانين آية، نزلت في قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة المنورة لمجادلة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–وهذا يفيد أنَّ الذين في قلوبهم زيغ هم أولئك الكتابيون الذين توهموا أنهم قد حصلوا على أدلة يخصمون بها رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم–

ومما سبق ذكره نخلص إلى أن هناك إحكاما عاما لتمام الكتاب، وهناك الإحكام والإتقان الذي لبعض آياته بالنسبة إلى بعض آخر, من جهة امتناعها عن التشابه في المراد .قال تعالى :﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، فلمّا كان قوله تعالى :﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ﴾ مشتملاً على تقسيم آيات الكتاب إلى قسمين: المحكم والمتشابه، علمنا به أنّ المراد بالإحكام غير الإحكام الذي وُصِفَ به جميع الكتاب في قوله تعالى :﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ .وكذا المراد بالتشابه فيه غير التشابه الذي وُصِفَ به جميع الكتاب في قوله تعالى :﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ ثم إن المراد بالتشابه في الآية السابقة هو كون آيات الكتاب ذات نسق واحد, من حيث جزالة النظم، وإتقان الأسلوب، وبيان الحقائق، والحكم، والهداية إلى صريح الحقّ, كما تدلّ عليه القيود المأخوذة في الآية. فهذا التشابه وصف لجميع الكتاب، وأمّا التشابه المذكور في قوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، فمقابلته لقوله :﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وذِكْر اتباع الذين في قلوبهم زيغ لها ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل ,كل ذلك يدلّ على أنّ المُراد بالتشابه: كون الآية بحيث لا يتعيّن مرادها لفهم السامع بمجرّد استماعها، بل يتردّد بين معنى ومعنى ,حتى يرجع إلى محكمات الكتاب, فتُعيّن هي معناها وتبيّنها بياناً ,فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة، والآية المحكمة محكمة بنفسها.

منشأ التشابه في القرآن الكريم :

المتشابه من القرآن–بالإطلاق الخاص– هو: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره؛ إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى. وهو في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهة اللفظ والمعنى معاً.

فالمتشابه من جهة اللفظ فقط هو الذي اعتراه الغموض بسبب اللفظ وهو نوعان :

النوع الأول يرجع إلى الألفاظ المفردة ، إما لغرابة ذلك اللفظ مثل كلمة (الأب) في سورة عبس(وفاكهة وأبا). وكلمة (كلالة) في سورة النساء.(إن كان رجل يورث كلالة).فلفظ الأب ولفظ الكلالة من الألفاظ التي تحتاج إلى بيان وتوضيح.

وإما لاشتراك اللفظ في عدة معان. كلفظ اليمين في سورة الصافات (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ)[1] . فلفظة: اليمين تحتمل استعمال يده اليمنى غير الشمال، وتحتمل أيضاً أن الضرب كان بقوة، لأن اليمين أقوى الجارحتين، وتحتمل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم، في قوله تعالى: (وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ)[2]. ومثل ذلك يقال في لفظ العين ولفظ القرء ونحوهما من الألفاظ المشتركة.

النوع الثاني يرجع إلى جمل الكلام وتراكيبه، ونظمه ، حيث البسط والاختصار ، مثل قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء). النساء.وقوله تعالى : (الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما)[3] ففي الآية الأولى خفاء في المراد بسبب الإيجاز والتقدير: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن. وفي الآية الثانية وقع الخفاء بسبب ترتيب الآية ونظمها.أي ترتيب لفظ قيما وما قبله. ومعنى الآية: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ...

أما التشابه من جهة المعنى فيقصد به ما له تعلق بأوصاف وأحوال و أهوال يوم القيامة، وعلامات الساعة، والجنة والنار. ونحو ذلك من الغيبيات.التي لا يمكن

---

[1] – سورة الصافات : 93

[2] – سورة الأنبياء : 57

[3] – سورة الكهف : 1

للعقل البشري أن يحيط بها علما .ومن هذا النوع ما يكون سبب التشابه فيه شبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق ،كما هو شأن أهل الأهواء في تأويل الصفات لما انقدح في أذهانهم من التشبيه. ومنه أيضا الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها وبالعام من غير تأمل هل له مخصص أو لا ؟ وكذلك العكس بأن يكون النص مقيدًا فيطلق أو خاصًا فيعم بالرأي من غير دليل سواه، فإنَّ هذا المسلك رمي في عماية واتباع للهوى في الدليل، وذلك أنَّ المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد فإذا قيد صار واضحًا. فإذا قيل مثلا : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة (فلا يكون ذلك لأي قول. فإن هذا خلاف المعلوم من دين الإسلام،لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم في العذاب تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار. ولكن المقصود هو القول التام الذي يستلزم أثره من تركٍ للشرك والتزام بشرائع الإسلام . ينضاف إلى ما سبق الأخذ بالمنسوخ من النصوص دون ناسخه، وبالمجمل دون مبينه . والأخذ بقضايا الأعيان وحكايات الأحوال التي قد تخالف بظاهرها أصولا مطردة مقررة واضحة في الشريعة . فهذا معدود من المتشابهات التي يتقى اتباعها بل يجب ردها إلى هذه الأصول المحكمة وتنريلها على مقتضاها.

أما التشابه من جهة اللفظ والمعنى معا فمثل قوله تعالى:(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)[1] . فهذا الخفاء في المعنى وفي اللفظ معاً إذ لا يمكن معرفة معنى هذه الآية إلا بالرجوع إلى تفسيرها،

[1] – سورة البقرة : 189

فقد كان أهل الجاهلية يعتقدون أن الرجل إذا أحرم بالحج لم يدخل من باب البيت بل يخرق خرقاً أو يدخل من وراء البيت، فرد عليهم القرآن وبيَّن أن ليس شيء من ذلك من أبواب البر ولكن البر هو التقوى.

وقد قسم الراغب الأصفهاني المتشابه من حيث إمكانية الوقوف على المراد منه إلى ثلاثة أقسام :

- قسم لا سبيل إلى ادراك معناه كوقت الساعة ونحوه.
- قسم يمكن للإنسان أن يعرف معناه كالألفاظ الغريبة.
- قسم متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم. كقوله عليه السلام لابن عباس: (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)[1].

ويحسن بنا في هذا السياق أن نشير إلى مسألة طالما بحثها العلماء، تتعلق بقوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم).[2] ومنشأ النظر في هذه الآية منصب على قوله تعالى :والراسخون في العلم، هل هو كلام مبتدأ ومستأنَف، أم هو معطوف على قوله تعالى :وما يعلم تأويله إلا الله. ومعلوم أن الوقف والابتداء في القرآن، له دور مهم وأساسي في تحديد معنى الآية، وبيان وجهتها ومقصدها . وحسبنا في هذا المقام أن نعلم أن المفسرين قد ذهبوا في تفسير الآية **مذهب الأول** :يرى أن الوقف يكون على قوله تعالى:وما يعلم تأويله إلا الله. وبالتالي فإن قوله تعالى :والراسخون في العلم كلام مبتدأ ومستأنف. والمعنى على هذا: أن المتشابه

---

[1] – *أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد.*

[2] – سورة آل عمران : **7**

لا يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يؤمنون به كما جاء، ويكِلُون علمه إلى الله سبحانه. وقد أيَّد أصحاب هذا المذهب ما ذهبوا إليه، بحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: تلا رسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله). قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذرهم)[1] .

أما المذهب الثاني، فيرى أن قوله تعالى(والراسخون في العلم) معطوف على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) . وعلى هذا يكون تفسير الآية: أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه من القرآن. وقد تواترت النقول عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تكلم في جميع معاني القرآن، ولم يقل عن آية إنها من المتشابه الذي لا يعلم أحد تأويله إلا الله. ورجح الإمام النووي هذا القول، مستدلاً على ذلك، بأنه يبعد أن يخاطب سبحانه عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته .

والحق، أنه لا تعارض بين هذين المذهبين، والتوفيق بينهما أمر ممكن ومتيسر، وذلك إذا علمنا المقصود من لفظ (التأويل) الوارد في قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله).لأن (التأويل) يُطلق على معنيين:

التأويل بمعنى التفسير، فتأويل الكلام تفسيره، وتوضيح معناه. وهو اصطلاح معروف ومشهور عند أهل التفسير.

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه.

والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدلالة توجب ذلك.

والتأويل في الاستعمال القرآني يأتي بمعنى: الحقيقة، فتأويل الكلام، الحقيقة التي يؤول إليها. وعلى هذا المعنى جاء قول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده :سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي ، يتأوَّل القرآن) تعني قوله تعالى(فسبح بحمد ربك واستغفره)[1].

وبناءً على ذلك، نستطيع أن نقول: إن الذين ذهبوا إلى حصر علم التأويل في حقِّ الله تعالى، إنما يقصدون بذلك التأويل بالمعنى القرآني، أي: الحقيقة التي يؤول إليها الغيب، وهذا أمر متفق عليه ؛ لأن حقيقة الغيب لا يعلمها إلا الله .

أما الذين ذهبوا إلى أنه يمكن للعلماء العلم بالتأويل، فإنهم يقصدون بذلك التأويل بالمعنى الأول، أي: معنى التفسير، وهذا أيضاً متفق عليه . ويمكن أن نمثِّل لهذا بمثال يزيد الأمر وضوحاً وجلاءً، فنقول: إن صفة العلم التي وَصَفَ الله بها نفسه، وكذلك باقي الصفات، يمكن للعلماء تأويلها، بمعنى تفسيرها، أما تأويلها بمعنى معرفة حقيقة هذه الصفة، أو معرفة حقيقة باقي صفاته سبحانه، فهذا ما لا سبيل لأحدٍ إليه،

خلاصة

يتبين مما سلف ذكره أن (الإحكام) و(التشابه) المتعلقين بالقرآن أربعة أنواع :

1 – الإحكام العام: بمعنى الإتقان في أخباره وأحكامه .

2 – التشابه العام: وهو تماثله وتناسبه وتصديق بعضه بعضاً .

---

[1] – متفق عليه.

3 – التشابه الخاص: وهو مشابهة الشيء لغيره من وجه، ومخالفته له من وجه آخر .

4 – الإحكام الخاص: الفصل بين الشيئين المشتبهين من وجه، المختلفين من وجه آخر .

فالأول والثاني متفقان، والثالث والرابع متضادان .

والمحكم الذي اتضح معناه وتبين، والمتشابه هو الذي يخفى معناه، فلا يعلمه الناس، وهذا إذا جمع بين المحكم والمتشابه، وأما إذا ذكر المحكم مفرداً دون المتشابه، فمعناه المتقن الذي ليس فيه خلل: لا كذب في أخباره، ولا جور في أحكامه، قال تعالى:(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً)[1] ، وقد ذكر الله الإحكام في القرآن دون المتشابه، وذلك مثل قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)[2] ، وقال تعالى(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ)[3] وإذا ذكر المتشابه دون المحكم صار المعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في جودته وكماله، ويصدق بعضه بعضاً ولا يتناقض، قال تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ)[4] ، والتشابه نوعان: تشابه نسبي، وتشابه مطلق والفرق بينهما: أن المطلق يخفى على كل أحد، والنسبي يخفى على البعض دون البعض.

---

[1] – سورة الأنعام: 115

[2] –سورة يونس: 1

[3] –سورة هود: 1

[4] – سورة الزمر: 23

النسخ في القرآن الكريم

تمهيد :

الناسخ والمنسوخ هو علم من علوم القرآن الكريم، الذي أثار – ولا يزال يثير – الكثير من الجدل والاختلاف والخلاف حول معناه، وجوازه أو عدم جوازه، وحدوثه أو عدم حدوثه في القرآن الكريم ، وقِلَّته أو كثرته في الآيات القرآنية،...حتى شهد الاستقراء بعدم انعقاد الإجماع على أية جزئية من جزئيات هذا العلم ، ومحاوره وقضاياه عبر تاريخ الإسلام.

ورغم الجدل والاختلاف ، ورغم كثرة الروايات حول الناسخ والمنسوخ، وتهافت تلك الروايات التي لم يحدث حول أيٍّ منها إجماعٌ؛ رغم كل ذلك وغيره ظل الاختلاف قائمًا في أصول وفروع النسخ ، وبقي الموقف منه متراوحًا بين القبول.. والتحفظ.. والنقد.. والرفض الشديد. ولعل جوهر الخلاف يرجع أساسا إلى تباين وجهات النظر في تحديد مفهوم النسخ . هل هو ضرب من البيان كتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان المبهم وتفصيل المجمل؟ أم هو المحو والإزالة والإبطال والتغيير والتبديل في الآيات والأحكام ؟ . أي هل النسخ يعني رفع الحكم الذي جاء به القرآن الكريم ؟ أم هو رفع لمتعلق الحكم – الدائم – بالمكلف لظروف حدثت وتحدث للمكلفين، استدعت حكما آخر ، مع بقاء الحكمين: الأول والثاني – يعمل كل منهما عند توفر شروط إعماله وتعلقه

بالمكلفين؟. ذلك أن عدم تحرير وتبين المفهوم والغفلة عن تحرير محل النزاع ، والاكتفاء بالتقليد أوقع بعض العلماء ، وعوام المفسرين وفق تعبير السيوطي في "الإتقان لعلوم القرآن"في كثير من الخلط والاضطراب في موضوع النسخ في القرآن الكريم.

قال الدكتور طه جابر العلواني : (وأصل الفساد الذي دخل على بعض العلماء نجم عن تقليد سابقيهم من المتقدمين من غير بحث عما صنفوه، ولا طلب للدليل عما ألفوه، ومن ذلك الكلام في (الناسخ والمنسوخ). فإن كثيرين منهم قد أقدموا على القول في (الناسخ والمنسوخ) وأوردوا كثيرا من التخليط والعجائب والعظائم التي ينزه القرآن عنها، كما ذكر ابن الجوزي وغيره.)[1] فكان ما كان مما يملأ بطون كتب التفسير والأصول وتذكره أقلامهم من نزاع لم يتم تحريره على ضوء اصطلاح القرآن إلا لماما. فزعموا أن النسخ في القرآن الكريم إما أن يكون للحكم والتلاوة معا أو نسخا للحكم وحده دون التلاوة، أو نسخا للتلاوة دون الحكم. واستدلوا على ذلك بآيات قرآنية لا نكاد نجد دلالة في واحدة منها على نسخ شيء من آيات الكتاب التكليفية، وإنما هو متعلق بآيات الكتاب التكوينية. الأمر الذي يدعو إلى تبين هذه القضية من خلال التأسيس الدلالي اللغوي، والاصطلاحي، والاستعمال القرآني.

النسخ في اللغة والاصطلاح:

النسخ في اللغة[2]: الإزالة والنقل. فمن الأول: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر. ومنه قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها﴾[3].

---

[1] – راجع كتاب نحو موقف قرآني من النسخ .

[2] – ينظر مقاييس اللغة: نسخ: 424/5. المصباح المنير: نسخ: 310. الكليات: 892.

[3] – سورة البقرة: 106

ومن الثاني، أي النقل: قول القائل : نسخت الكتاب، وقوله تعالى: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[1]. قال الراغب الأصفهاني : (النسخ إزالة شيء بشيء يتعقبه كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس ، والشيب الشباب. فتارة يفهم منه الإزالة ، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران.)[2]

أما في عرف أهل الأصول[3]، فهو إبطال العمل بالحكم الشرعي بدليل شرعي متراخ عنه يقتضي خلاف حكمه، صراحة أو ضمنا، كليا أو جزئيا. فهو تبديل بالنظر إلى علم الله الذي أحاط بكل شيء علما. ومن ثم فالعلاقة بين الآية الناسخة والمنسوخة هي علاقة تعارض في الحكم، ونفي في المعنى، وتراخ في الزمن. والنسخ بهذا المفهوم قد زاحمه كثير من وسائل البيان كالتخصيص والتقييد والتفسير والتفصيل[4]. وبهذا المعنى العام كان النسخ عند الصحابة والتابعين وتابعيهم فهو تقييد للمطلق وتخصيص للعام وتفصيل للمجمل وبيان للمبهم . ومنهم من كان يجعل الاستثناء نسخاً.

أما عند المتأخرين فيراد به رفع الحكم الشرعي بحكم شرعي آخر متراخ عنه.

---

[1] – سورة الجاثية: 28

[2] – معجم مفردات ألفاظ القرآن : 545.

[3] – إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني.: 312

[4] – أنظر: دراسة الطبري للمعنى للدكتور محمد المالكي: 180/179. وقد استبعد الشيخ الخضري أن يعد شيء من هذه الوسائل البيانية نسخا فقال: "لا نجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا روي عن السلف، بيان الأسبق من المطلق ومقيده ولا العام ومخصصه. ولهذا تؤخذ النصوص الشرعية، بعد كمال الدين وانقطاع الوحي جملة كأنها أنزلت في وقت واحد المطلق والعام فيه كالمستثنى منه والمقيد والمخصص كالاستثناء. فلا يعد شيء من ذلك نسخا". تاريخ التشريع الإسلامي للخضري: 26.

أما النسخ عند علماء المذاهب فنجدهم عرفوه بتعريفات متعددة أهمها:

عند الحنفية :عرفه الإمام الجصاص بقوله: " هو بيان مدة الحكم الذي كان في توهمنا وتقديرنا جواز بقائه[1] ."وعرفه غيره بقوله: هو كشف مدة العبادة بخطاب ثان .

فمن خلال التعريفين يتبين لنا أن النسخ عندهم له ارتباط بالزمان حيث حد الحكم المنسوخ بأجل - معلوم في علم الله - فلما جاء الناسخ بين مدة انتهائه وأثبت حكما آخر

مكانه. وتدلنا لفظة " جواز بقائه " على أن الحكم المنسوخ لم يبق.

أما المالكية والشافعية فنجدهم انطلقوا من مصدر واحد وهو تعريف القاضي الباقلاني إذ جل من اطلعت عليهم يذكرون هذا التعريف ويرجحونه. يقول فيه(هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه) [2].

وعند التأمل في المعنيين اللذين تدور عليهما مادة نسخ وهما : الإزالة والإثبات ، يمكن حمل المعنى الأول على المعنى الثاني، فيكون أصل المادة واحدا هو الإثبات والتثبيت. وهو ما قرره ابن فارس بقوله : (ن. س. خ) أصل واحد يدل على معنى واحد .[3]

---

[1] – الفصول في الأصول : 199

[2] – اللمع في أصول الفقه للشيرازي(ت 476) 1 / 55

[3] – مقاييس اللغة . مادة نسخ.

لأن الإزالة التي تحدثت عنها المعاجم اللغوية ، والتي ضربت لها أمثلة : نسخت الشمس الظل ، ونسخت الريح الآثار ، هي في الواقع إثبات أيضا، مثلها مثل نسخ الكتاب.وليست إزالة ولا إبطالا ولا إعداما بحال من الأحوال[1].(إذ في الإزالة نقل من حالة إلى حالة)[2].

النسخ في لسان القرآن الكريم:

ذكر لفظ النسخ في القرآن الكريم أربع مرات[3]. ولما كان فعل النسخ متعلقا بمفهوم الآية فإنه يتعين استحضار أحوال ورود لفظ الآية في القرآن الكريم .ذلك أن استقراء المواضع القرآنية التي ورد فيها لفظ "آية" مفردة ينصرف معناها ، في الغالب، إلى معنى الأمارة أو المعجزة، وحين ترد بصيغة الجمع فإن معناها يتجه، في الغالب، إلى معنى الآية القرآنية، وهي في كلا الاستعمالين تهدف إلى الإقناع وإقامة الحجة على الناس.وحيث إن المقام لا يسمح بتفصيل القول في كل الموارد القرآنية المتضمنة للفظ الآية فإننا نكتفي بدراسة الآية 106 من سورة البقرة(ما ننسخ من آية أو ننسها ...) باعتبارها الأصل في موضوع النسخ.

فقد جاءت كلمة "آية" نكرة، بصيغة المفرد في سياق الشرط، فهي عامة. وقد أكد هذا العموم، دخول "من" الجارّة عليها، والجار والمجرور بيان ل "ما" الشرطية، وهي عامة أيضا. ولا أدل على سعة مجال العموم من مثل هذا التعبير، ولا يصح قصر العام على

---

[1] – حقائق وشبهات حول معنى النسخ في القرآن الكريم : 23 . الدكتور محمد عمارة..دار السلام..ط : 2010 .

[2] – كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.. طبعة الهند.

[3] – هي : البقرة : 106 . الأعراف : 154 . الحج : 50 . الجاثية :28

بعض أفراده أو أنواعه إلا بدليل. ثم إن النسخ في الآية متعلق ب "آية" لا بحكم آية، ومعلوم أن المقتضى هو ما وجب تقديره لصدق الكلام أو صحته عقلا، فإذا أمكن فهم الآية من غير تقدير كلمة "حكم" قبل "آية" فلا وجه لهذا التقدير. كما أن قوله عز وجل فيما يأتي به بدل الآية المنسوخة ﴿نات بخير منها أو مثلها﴾ من غير إعادة باء الجر في "مثلها" له مغزاه الذي يوجه معنى الآية. إذ لو كان المراد أن البدل يأتي أحيانا خيرا مما نسخ، وأحيانا أخرى مماثلا له، لقال تعالى ﴿أو بمثلها﴾ بإعادة باء الجر، ولكان النسخ في الحالة الثانية ترجيحا من غير مرجح، ومنافيا لحكمة الحكيم سبحانه. فتكون الآية إذن شاملة لنسخ الشرائع والخوارق السابقة لعدم الدليل على الخصوص. والدليل هو القرآن الكريم دون سواه، إذ هو باعتباره معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم، خير من أية معجزة أخرى قولية كانت أو فعلية. وخير من تعجيل العقوبة للمكذبين[1]، وهو لا يقل عن شيء منها في دلالته على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم إن فهم هذه الآية في بيئتها القرآنية، وربط دلالتها بما سبقها وما لحقها من الآيات، يدل على أن السياق يتعلق بالآية الكونية، دون التكليفية . ذلك أن الكلام قبلها في القرآن المعجز، ومحاولة الكافرين جميعا صرف المسلمين عنه إلى المطالبة بمعجزات كونية، حسدا من عند أنفسهم. وما بعدها في المعجزات الأخرى. إقرأ قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون... ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون... ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم. والله

[1] – وذلك على قراءة "ننسأها" من نسأه نسئا، إذا أخره. فإن الأمر يتعلق بالآية الكونية التي تصيبهم بعذاب.

يختص برحمته من يشاء.والله ذو الفضل العظيم. ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل[1] ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾[2] فالسياق إذن يوحي بأن النسخ يتعلق بالآية الكونية دون التكليفية ، إذ التعقيب بالتأكيد على قدرة الله على كل شيء، وعلى أنه وحده يملك السماوات والأرض، مما يناسب "الآية" بمعنى الأمارة والمعجزة. والأمر الذي يناسب "الآية" بمعنى الوحدة القرآنية في السورة هو وصف الله بالعلم والحكمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾[3].

وهكذا تنضاف قرائن السياق إلى المرجحات اللغوية فتقدم تفسيرا لهذه الآية يتقبله العقل ويستحليه الذوق، دون حاجة إلى تكلف في فهم نظمها ولا في توجيه مفرداتها[4]، وهي تكاد تكون قاطعة في استبعاد تطرق النسخ بمعنى المحو والإزالة إلى أي من مباني القرآن الكريم أو معانيه. لأنها إنما جاءت ليتدبر الناس مفاهيمها وأحكامها ، ليقيموها في

---

[1] – فما الذي سئل موسى من قبل؟ نريد أن نرى الله جهرة. نريد كذا وكذا. فهؤلاء يريدون آيات كونية أو معجزات تثبت البرهنة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

[2] – سورة البقرة من الآية: 98 إلى 107 .

[3] سورة الحج : 55

[4] – ن: أصول التشريع الاسلامي: 355. كيف نتعامل مع القرآن لمحمد الغزالي: 83.

واقعهم لا ليحولوها إلى الاستيداع ومتاحف الذكريات. ولكي نستبين مواقف العلماء من ظاهرة النسخ في القرآن الكريم نعرض بشكل مختصر لأدلة المجوزين وأدلة المانعين على النحو التالي:

النسخ بين النفي والإثبات:

نشأت نظرية النسخ بناء على القول بإمكان وقوع التعارض بين نصوص الشارع الحكيم بحيث لا يمكن أن يرتفع التعارض أو التضاد في ذهن المجتهد بدون التخلص من أحد النصين بالحكم بإبطاله أو إزالته أو رفعه أو بيان انتهاء مدته أو تبديله أو تغييره أو تحويله، بحيث لا يبقى إلا أحد الدليلين، أي المتأخر منهما، معمولاً به. وتبعا لذلك تباينت آراء العلماء في قضية النسخ ، بين مثبت ومنكر. فمن هم المثبتون ومن هم المنكرون؟ وما هي أدلة كل منهما ؟

أولا :المنكرون للنسخ وأدلتهم.

من الذين أنكروا النسخ اليهود إذ قالوا لا يجوز النسخ في حق الله تعالى لأنه يؤدي إلى القول بالبداء .وقد سار على هذا النهج بعض المسلمين وقالوا بعدم النسخ في الشريعة وأن كل ما ظن أنه نسخ فهو يدخل في باب التخصيص أو البيان أو التدرج في الأحكام، إذ كيف يجوز النسخ في

حق الله الذي علمه أزلي؟

ومن أبرز القائلين بعدم النسخ الإمام أبو مسلم الأصبهاني، مستدلا بالأدلة التالية :

1 – إن الله تعالى وصف كتابه بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإذا

نسخ شيء منه يكون قد أتاه الباطل[1] .

2 – إن النسخ يؤدي إلى اعتقاد الجهل في حق الله تعالى؛ إذ يعتقد وجوب الأمر على التأبيد وهو خلاف ذلك[2] .

3 – إذا أمر الله بشيء دل على حسنه، وإذا نهى عنه دل على قبحه؛ ولا يجوز أن يكون الشيء حسنا قبيحا في نفس الوقت [3].

4 – القول بأن المنسوخ يكون مؤقتا يؤدي إلى اطراد هذا على جميع الأحكام، مما يفتح باب القول بنسخ الشريعة كلها، فيؤدي بالشريعة إلى التناقض.

5 – إذا أثبتنا النسخ فإن الثقة بالنص الشرعي تزول،إذ ما الذي يمنع من أن يأتي أحد ما في زمان ما ويصير غير المنسوخ منسوخا [4].

فهذه أهم الأدلة التي استدل بها المنكرون للنسخ، لكنها لم تسلم من النقد والرد والمناقشة.

مناقشة هذه الأدلة

إن المتأمل في أدلة هؤلاء يجدها ركزت على الجانب العقدي، إذ اعتبرت النسخ ضربا في أساس الدين وهدما لعقيدة المؤمن، فكيف يجوز في حق الله تعالى أن يتراجع عما قرره وأثبته، وإلا كان هذا لعبا في الدين وتخبطا.تنزه الله عز وجل عن ذلك كله.

---

[1] – التبصرة : 1 / 253

[2] – المهذب في علم أصول الفقه المقارن : 2 / 546

[3] – المحصول : 778 – 781 .

[4] – الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي : 23-24 .

والظاهر من أدلتهم أنهم انجروا في تشبيه الله تعالى بخلقه، وأوغلو في الاحتياط للشريعة من حيث إنهم وقعوا فيما فروا منه. إذ أضفوا على الباري صفات النقص، وأنه لا يقدر أن يأتي بشيء جديد غير الذي كان من قبل .وكأنهم جهلوا أن لله لا يسأل عما يفعل،وهم يسألون. ثم إن الباطل الذي ادعوه ليس المقصود منه النسخ، وإنما معناه أنه لم يتقدمه من الكتب ما يبطله ولم يتأخر عنه ما يبطله، والنسخ حق وصدق وهو كالمنسوخ. فكل من عند لله. ثم إن النسخ إبطال وليس باطلا[1] . وهذا يعطي قوة للنص الشرعي، فرغم تباعد الأزمان واختلاف الأحكام؛ إلا أنه لم يأت بشيء متناقض .أما إذا لم يقر بالنسخ فكيف سيفعل بالآيات التي عدها العلماء منسوخة؟. أما ادعاؤهم بأن هذا سيكون مدعاة لاطراد هذا على جميع الأحكام، فهو قول يعوزه النظر والبرهان، إذ العلماء لم يجوزوا النسخ لكل من هب ودب، بل لا بد من نص شرعي واضح يدل على أنه ناسخ للآخر، ولذلك قواعد وعلامات بها يعرف المنسوخ من غيره [2].

وقد أول العلماء مذهب أبي مسلم واعتبروه غير منكر لحقيقة النسخ، وإنما سماه تخصيصا زمنيا، وبهذا المعنى قال بعض العلماء كذلك [3].

ثانيا :المجوزون للنسخ وأدلتهم:

نقل عن جمع غفير من المسلمين من الذين وصلتنا مؤلفاتهم ومن الذين لم تصلنا، أن النسخ ثابت في الشرائع السابقة بعضها مع بعض، إذ شريعة محمد صلى

---

[1] – المهذب في علم أصول الفقه المقارن : 2 / 564

[2] – قواعد التفسير. خالد بن عثمان السبت : 726 -- 741

[3] – المهذب في علم أصول الفقه : 2 / 547 . جمع الجوامع" مبحث النسخ"

الله عليه وسلم نسخت جميع الشرائع السابقة. وعليه فما المانع من وقوع النسخ في الشريعة التي نسخت الشرائع السابقة، وقد أقر به كافة العلماء المعتبرين، قال القرافي (ويجوز عندنا وعند الكافة نسخ القرآن خلافا لأبي مسلم)[1] . واستدل المجوزون بأدلة كثيرة منها:

1 – إن النسخ قد وقع في الشرائع السابقة إذ كثير من الأحكام تكون في شريعة، فلما تأتي شريعة أخرى تغيرها، وقد اتفقت الأمة على أن شريعة محمد عليه السلام قد نسخت الشرائع السابقة[2].

2 – إن التكليف يراعى فيه مصلحة العباد، فلا ضير أن تكون المصلحة منتهية في أجل، ثم ينزل الله ما فيه مصلحة عوض الأولى .وإذا كان التكليف غير مشروط بالمصلحة جاز في حق الله أن يشرع لعباده ما شاء، كما يجوز في حقه أن ينقل عباده خلقا آخر[3] .

3 – قد ورد في القرآن ما يدل على أن النسخ واقع وذلك في قوله تعالى :

(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)[4]

---

[1] – شرح التنقيح1 : / 306

[2] – المستصفى : 1 / 213

[3] – التبصرة : 1 / 253

[4] – سورة البقرة : 106

4 – النسخ بمنزلة ابتداء التكليف [1] ولا ضير أن يسمى تدرجا أو بيانا، فالنسخ نوع من أنواع التدرج في الأحكام ، وهذا ملاحظ من خلال الآيات المنسوخة.

مناقشة هذه الأدلة:

للنسخ معنى كلي ومعنى جزئي .فالكلي هو ما تعلق بالشرائع السابقة، والإجماع على أن المتأخر منها ناسخ للمتقدم، وهذا يقر به الجميع، وأما الجزئي فهو الذي يخص الشريعة المحمدية في ذاتها، وإذا كان الأول قد ثبت فلا يظهر للدارس ما قد يعد مانعا من أن يثبت الثاني، فهو دليل على الكمال والتمام قال تعالى :(اليوم أكملت لكم دينا وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)[2]. مع أن الثاني جزئي وليس كليا، وإذا ثبت الكلي فما المانع من ثبوت الجزئي .فاستدلالهم بهذا استدلال قوي. أما استدلالهم بأن مصلحة العباد تختلف باختلاف الزمان فهذا يمكن أن يطرد حتى في زماننا هذا فنقول :إن مصلحة الناس لم تعد اليوم في كثير من النصوص فما المانع من ادعاء نسخها أو إبطالها حيث لم تعد حاجة الناس فيها. ثم إن النسخ لا يثبت بالاحتمال والتخمين والاحتكام للواقع، وإنما لا بد فيه من النص، الصحيح السند الواضح الدلالة.

بعد عرض أدلة الفريقين ومناقشتها يتبين لكل ذي بصيرة وذي عقل سليم أن النسخ الكلي واقع لا مناص منه ، وعلى هذا جمهرة العلماء من الصحابة إلى يوم

---

[1] – العدة في أصول الفقه : 3 / 772

[2] – سورة المائدة :4

الناس هذا. وإنما الخلاف في النسخ الجزئي المتعلق بآيات القرآن الكريم التكليفية. فإذا تقرر هذا، فلا مانع أن يعاد النظر في بعض تفريعاته مما اختلف فيها العلماء قديما وحديثا كنسخ التلاوة وبقاء الحكم...

يقول العلامة القرضاوي: (الذي يُهمُّنا هنا أن نقرِّره ونبيِّنه ونثبِّته، هو التضييق الشديد في دعاوى النسخ في كتاب الله، فإن الله تعالى لم يُنزل كتابه إلا ليُهتدى بهداه، ويُؤتمر بما أمر، ويُنتهى عما نهى، ويُعمل بأحكامه، وكل دعوى لنسخ آية أو بعض آية منه، فهي على خلاف الأصل، وما جاء على خلاف الأصل لا يُقبل إلا ببرهان يقطع الشكَّ باليقين. ولو طبَّقنا ما وضعه علماء أصول الدين، وعلماء أصول الفقه، وعلماء أصول التفسير، وعلماء أصول الحديث، من قواعد وضوابط وشروط، فإننا لا نكاد نجد – بل لا نجد – آية في القرآن الكريم مقطوعا بنسخها، وما لم يُقطع بنسخه فيجب أن يبقى حكمه ثابتا مُلزِما كما أنزله الله تعالى، ولا ننسخه ونبطل حكمه بمحض الظن، فإن الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئا... ومن شروط قَبول النسخ عند مَن سلَّم به أن يكون هناك تعارض حقيقي بين النصِّ الناسخ، والنصِّ المنسوخ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال من الأحوال، أما إذا أمكن الجمع ،ولو في حال من الأحوال، فلا يثبت النسخ، لأنه خلاف الأصل)[1].

النسخ باعتبار بالجهة (عند القائلين به)

النسخ إما أن يكون نسخ القرآن بالقرآن، أو نسخ القرآن بالسنة، وإما أن يكون نسخ السنة بالسنة أو نسخ السنة بالقرآن، فهي أربعة أقسام كبرى.

[1] – فقه الجهاد1/ 281 – 282

الأول :نسخ القرآن بالقرآن؛ فقد اتفق العلماء على جوازه، ووقوعه[1] .

الثاني :نسخ القرآن بالسنة، وهو إما:

1 – نسخ القرآن بالسنة المتواترة . ذهب الإمام أحمد، الإمام الشافعي إلى عدم الجواز بينما ذهب الجمهور إلى جواز النسخ بالمتواتر منهم مالك وأبو حنيفة وابن سريج وعلي أبو إسحاق، لقدرة النبي صلى الله عليه وسلم على دفع أي حكم من الأحكام[2].

2 – نسخ القرآن بخبر الآحاد. اختلف المجوزون للنسخ بالمتواتر في خبر الآحاد هل ينسخ به أم لا؟ فرقة قالت- وعلى رأسها أبو المعالي - يجوز ذلك نظرا لوقوعه. واستدلوا بقوله تعالى (قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس) حيث نسخها نهيه عليه السلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير[3] .

وقالت طائفة :لا يجوز ذلك لأن القرآن قطعي والقطعي لا ينسخ بمظنون[4] .

والذي تطمئن إليه النفس هو جوازه بالحديث المتواتر ومنعه بالحديث الآحاد.

قال عمر رضي لله عنه :(لا نترك كتاب الله لقول امرأة، لا ندري أحفظت أم نسيت) [5] وهذا أصل ينبغي إعماله في كل قضية تشبه هذه المسألة.

---

[1] – قواطع الأدلة : 1 /. 499

[2] – الناسخ والمنسوخ للنحاس :417

[3] – أخرجه مسلم كتاب الصيد باب "تحريم أكل كل ذي ناب من السباع"...

[4] – أصول الفقه للعربي اللوه 295 :

[5] – سنن الترمذي . كتاب الطلاق.

الثالث :نسخ السنة بالقرآن

اختلف العلماء في هذا النوع على قولين:

- فريق من العلماء أجازه واستدلوا عليه بوقوعه، حيث نسخت القبلة التي كانت ثابتة بالسنة بقوله تعالى .

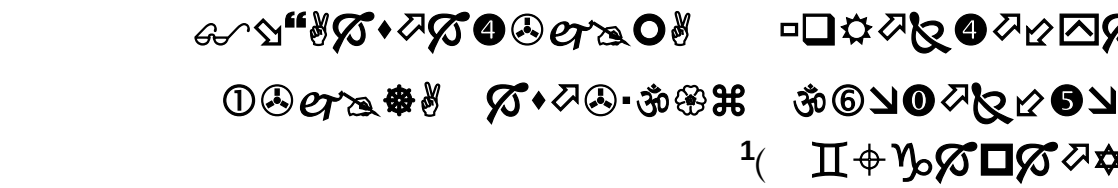

- وأنكره آخرون حيث اعتبروا السنة بيانا للقرآن، ولا يمكن للقرآن أن يكون ناسخا للسنة، وإلا انقلب ما اختصت به السنة من البيان[2]

الرابع :نسخ السنة بالسنة: وهي إما أن تكون متواترة أو آحادا. أو المتواتر مع الآحاد.

فنسخ المتواتر بالمتواتر جائز، كما جاز في القرآن مع القرآن، والقرآن مع السنة المتواترة، وكذلك نسخ الآحاد بالآحاد.

أما نسخ المتواترة بالآحاد فمما اختلف فيه العلماء. واختار الغزالي جواز ذلك عقلا، وقد وقع شرعا في قصة تحويل القبلة لما خرج معاذ رضي الله عنه إلى مسجد

---

[1] – سورة البقرة : **143**

[2] – المستصفى : **1** / **236 – 238**

قباء وأمر المصلين بتحويل القبلة لشهوده الحدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وأنكره البعض نظرا لوجود القطعي مع الظني، وهذا له وجاهة في النظر واعتبار في الخلاف، فكيف لما ثبت تواترا أن ينسخ بما ثبت بالآحاد؟ والقصة المستدل بها على الجواز ليست نصا من القرآن والسنة، وإنما هي واقعة عززت بصدق الصحابة وقبول ما أخبروا به، أما بعدهم وما حدث في أخبار الآحاد من الاختلاف، فيصعب القول إن خبر الآحاد ينسخ المتواتر، وإلا لكان روي بالتواتر.

النسخ باعتبار التلاوة والحكم(عند القائلين به)

عملية النسخ تضمنت طرفين ناسخا ومنسوخا، ثم هذا المنسوخ إما أن يكون كلا ، أي نسخ التلاوة والحكم، فهذا لا بد أن يكون الناسخ كلا، وإما أن يكون بعضا، أي أن ينسخ الحكم وتبقى التلاوة أو العكس، فهذا لابد فيه من أن يكون الناسخ بعضا. وتجدر الإشارة إلى أن هدا القسم خاص بالقرآن ،إذ السنة لا يتعبد بتلاوتها. وقد اتفق العلماء على أن نسخ الحكم والتلاوة قد وقع، وأقره العلماء، وبقي الخلاف قائما في نسخ التلاوة فقط أو الحكم كذلك. فتضمن هذا الإشكال مسألتين:

الأولى :نسخ التلاوة وبقاء الحكم وهذا من المختلف فيه على قولين:

1- الذي اختاره الغزالي وثلة من العلماء وصححه السمعاني في قواطع الأدلة هو الجواز معللين ذلك بأن التلاوة والحكم شيئان مختلفان، وإذا كان كذلك فما المانع من نسخ أحد الجهات وبقاء الأخرى. واحتجوا كذلك

[1] – قواعد التفسير لخالد بن عثمان: 57

بوقوعه في الحديث المروي عن عمر رضي الله عنه (الشيخ والشيخة إذا زنيا...)[1]

2- وأنكره طائفة من العلماء على رأسهم الشيرازي حيث قال **":**لا يجوز نسخ التلاوة مع بقاء الحكم؛ لأن الحكم تابع للتلاوة فلا يجوز أن يرتفع الأصل ويبقى التابع[2]**."** ولم يترك ابن العربي رواية عمر تمر بدون أن يعقب عليها حيث قال(إن رواية عمر وأمثالها من الروايات التي تزعم وجود قرآن منسوخ التلاوة، روايات آحاد لا يصح التعويل عليها.)

الثانية : نسخ الحكم وبقاء التلاوة

الجمهور على أن هذا القسم واقع وتابع للقسم الأول وهو نسخ التلاوة والحكم معا[3].

وشذت طائفة من الأصوليين وقالت لا يجوز هذا النوع نظرا لما يؤدي إليه من الجهل والغموض بالنسبة للمكلف.ولعل الخلاف في هذا القسم أقل من القسم الذي قبله نظرا لما في بقاء التلاوة من المنافع التي على رأسها التعبد بها، وجعلها معلما من

---

[1] – ورد في الموطأ عن عمر رضي لله عنه **":**لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب لله تعالى لكتبتها **"**كتاب الحدود باب **"**ما جاء في الرجم، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب، وابن ماجة في سننه

[2] – الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي ص**54**

[3] – المستصفى ج **1** ص . **234** الأمثلة على هذا النوع كثيرة منها آية سورة التوبة **":**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين **.....**فقد نسخ حكمها بالآية التي بعدها **":**الآن خفف لله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا **"**وكذلك مثلوا بنسخ آية تقديم الصدقة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة المجادلة

معالم المنسوخ، وحجة دامغة في وجوه المنكرين للنسخ. وقد لخص العربي اللوه هذه الأقسام الثلاثة في قوله ":اتفق الجمهور من العلماء على أن الآية من القرآن إذا تضمنت حكما فإنه يجوز نسخ تلاوتها دون حكمها والعكس، ونسخهما معا . والتلاوة والحكم حكمان فيجوز نسخ أحدهما دون الآخر كما عبر بذلك ابن عطية في تفسيره لآية النسخ[1].

بعض القواعد المؤطرة للنسخ مع الشرح والبيان:

ومن أجل الإلمام بأهم مسائل النسخ في الفكر الإسلامي نعرض لأهم القواعد المؤطرة لهذا الموضوع على النحو الآتي:

القاعدة الأولى

كل قول أو فعل كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يجوز أن يكون ناسخا ولو كان إجماعا ، بمعنى أن الإجماع لا يكون ناسخا ولا منسوخا لأنه ما وقع إلا بعد وفاة النبي صلى الله علي وسلم . إلا أن هناك حالة واحدة، يمكن أن يكون الإجماع فيها ناسخا وهي إذا انعقد على أثر لا على نظر، ولكن في هذه الحالة يكون الناسخ هو الخبر الذي انبنى عليه الإجماع واستند إليه .

القاعدة الثانية

إخراج بعض العموم يعد تخصيصا وليس نسخا. لأنه يحتمل أن يكون مراد الشارع ما أخرج من العموم ويحتمل أنه لم يرد به إلا ما بقي فيه. وأما إذا كان كل ما يحتمله العموم داخلا فيه مرادا به فإن إخراج بعضه نسخ . ولتوضيح هذه القاعدة يتعين بيان الفرق بين النسخ والتخصيص.

---

[1] – أصول الفقه للعربي اللوه ص290

فالنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متراخ عنه قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. والتخصيص هو قصر العام على بعض أفراده.

وعند النظر في هذين التعريفين نلاحظ أن هناك تشابها قويا بين المفهومين : النسخ والتخصيص. لأن النسخ فيه ما يشبه تخصيص الحكم ببعض الأزمان، والتخصيص فيه ما يشبه رفع الحكم عن بعض الأفراد، ومن هذا التشابه وقع بعض العلماء في الاشتباه، فمنهم من أنكر وقوع النسخ في الشريعة كأبي مسلم الأصفهاني من فقهاء المعتزلة (ت 321هـ) زاعما أن كل ما نسميه نحن نسخا فهو تخصيص ، ومنهم من أدخل صورا من التخصيص في باب النسخ ، فزاد بسبب ذلك في عدد الآيات المنسوخات من غير موجب. أما الفرق بين النسخ والتخصيص فيتجلى في ما يلي:

1 – العام بعد تخصيصه يصير مجازا ، لأن مدلوله وقتئذ بعضُ أفراده مع أن لفظه موضوع للكل، والقرينة هي المخصص، وكل ما كان كذلك فهو مجاز. أما النص المنسوخ فما زال كما كان مستعملا فيما وضع له ، إلا أن الناسخ دل على أن إرادة الله تعلقت أزلا باستمرار هذا الحكم إلى وقت معين وإن كان النص المنسوخ متناولا جميع الأزمان.

2 – إن حكم ما خرج بالتخصيص لم يكن مرادا من العام أصلا ، بخلاف ما خرج بالنسخ فإنه كان مرادا من المنسوخ لفظا.

3 – إن التخصيص لا يمكن أن يقع على الأمر لمأمور واحد، ولا على النهي لمنهي واحد. أما النسخ فيمكن أن يعرض لهذا كما يعرض لغيره ومن ذلك نسخ بعض الأحكام الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم . "مثال ذلك (أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي أولا على من مات وعليه دين ،لا وفاء له، ويأذن لأصحابه في الصلاة عليه. فقد

ذكر بعض الشافعية أنه كان يحرم عليه الصلاة. ثم نسخ ذلك وكان يصلي عليه ويوفي دينه من عنده)[1].

4 – النسخ يبطل حجية المنسوخ إذا كان رافعا للحكم بالنسبة إلى جميع أفراد العام ويبقى على شيء من حجيته إذا كان رافعا للحكم عن بعض أفراد العام دون بعض.أما التخصيص فلا يبطل حجية العام أبدا بل العمل به قائم فيما بقي من أفراده بعد تخصيصه .

5 – النسخ لا يكون إلا بالكتاب والسنة بخلاف التخصيص فإنه يكون بهما وبغيرهما كدليل الحس والعقل كما في قوله سبحانه وتعالى: "تدمر كل شيء بأمر ربها " قد خصصه ما شهد به الحس من سلامة السماء والأرض وعدم تدميرالريح لهما.

6 – النسخ لا يكون إلا بدليل متراخ عن المنسوخ.أما التخصيص فيكون بالسابق واللاحق والمقارن

القاعدة الثالثة

لا يصح النسخ بين العام والخاص بل الخاص يقضي على العام إجماعا .

القاعدة الرابعة

خبر الواحد لا ينسخ القرآن إجماعا . لكن إذا اجتمعت الأمة على نقله أو على معناه جاز نسخ القرآن به

القاعدة السادسة

الفرع إدا ترتب على أصل.ونسخ الأصل استحال بقاء الفرع.

---

[1] – أنظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (ت676هـ)

القاعدة الثامنة

النسخ إنما يدخل في الأحكام ولا يدخل في التوحيد والأخبار. وإنما يكون في الأمر والنهي لطفا من الله تعالى بعباده ، وقد قال قوم إنه يكون في الأخبار التي معناها الأمر و النهي .

القاعدة التاسعة

المتقدم لا ينسخ المتأخر كما أنه إذا نزل النصان معا في آن واحد فلا يمكن أن ينسخ أحدهما الآخر وإذا جهل التاريخ بطلت دعوى النسخ .

القاعدة العاشرة

المنقول لا ينسخ إلا بالمنقول فلا يمكن أن ينسخ بالمعقول أو العكس .

القاعدة التاسعة

لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب لله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه" فإذا تنازع المفسرون في آية بين مدعي النسخ ومانع منه فالأصح المنع إلا في الحالات التالية:

1-ثبوت التصريح بنسخها إما بنص الشارع على النسخ أو بالإجماع.

2–امتناع الجمع بينها وبين ناسخها.

2-انتفاء الحكم من كل وجه،بمعنى ثبوت النقيض أو الضد بين النصين ،لأنه متى ثبت نقيض الشيء أو ضده انتفى فكان ذلك دليل الرفع، وفي هذا القيد إخراج لما يلي:

أ -إخراج لمفهوم النسخ عند السلف لإدخالهم فيه تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجمل وإيضاح المبهم والاستثناء ونحو ذلك،

فإن حكم الآية لم ينتف من كل وجه بل من بعض الوجوه دون بعض.

ب -إخراج لقول الحنفية بأن الزيادة على النص نسخ، لأن الزيادة على النص ليس فيها نفي للحكم من كل وجه.كتقييد الرقبة بالمؤمنة في آية القتل. قال تعالى:(ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة مومنة)[1]

ج -إخراج لما أمكن فيه الجمع مما ادعى فيه النسخ لظهور تعارض بين النصوص.

هذا وقد قرر هذه القاعدة واستعملها الطبري في تفسيره، والنحاس في الناسخ والمنسوخ، والقرطبي والشوكاني ونص عليها علماء الأصول وقرروا "أن الأمر إذا دار بين نسخ الحكم وبقائه حمل على بقائه دون نسخه إلا لدليل راجح .

أمثلة تطبيقية

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى :(فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)[2] على أقوال:

قال بعضهم هي منسوخة بقوله تعالى :"فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم "وقوله تعالى فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم " أي لا يجوز المن على الأسير وهو إطلاق سراحه بدون مقابل ، أو الفداء به وإنما يقتل ، وهذا مروي عن ابن عباس وبه قالت الحنفية .

وقالت جماعة هي ناسخة لقوله تعالى :"فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم "فلا يجوز قتل الأسير بل يمن عليه أو يفادى به . وذهب بعض أهل العلم إلى أن جميع الآيات

---

[1] – سورة (النساء: 96

[2] – سورة الأنفال .

الآمرة بالمعاملة الحسنة مع أهل الكتاب والإقساط لهم بأنها منسوخة بآية السيف، والصحيح عدم النسخ لعدم التعارض.

وقال عبد الله بن عمر وابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري وغيرهم الآية محكمة، وكذا آية القتل، فالخيار للإمام أي له المن أو الفداء أو القتل أو الاسترقاق على ما يراه مناسبا من الأصلح للمسلمين وهذا القول هو الذي ترجحه القاعدة وتقضي به لأن الحكم إذا دار بين النسخ والإحكام فالقول بالإحكام مقدم، ولأن النسخ إنما يكون بشيء قاطع ، فإذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ ، ولا دليل لمن ادعى النسخ يحكم به ، وليس القتل نقيضا للمن والفداء فالعمل بالجميع ممكن حسب ما يراه الإمام من المصلحة [1]

---

[1] **–كتاب الناسخ والمنسوخ لابن العربي المعافري تحقيق عبد الكبير المدغري. مكتبة الثقافة الدينية**

– مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني ،دارالفكر.بيروت

الطبعة الأولى : 1996.

– قواعد الترجيح عند المفسرين – دراسة نظرية تطبيقية– الدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي ، راجعه وقدم له الشيخ مناع القطان . دار القاسم الرياض

إعجاز القرآن الكريم

تمهيد:

تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه، فكل آية من آياته فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي, وكل مجموعة من الآيات, وكل سورة من السور طالت أم قصرت, بما فيها من قواعد عقدية, أو أوامر تعبدية, أو قيم أخلاقية, أو ضوابط سلوكية، أو إشارات علمية, إلي غير ذلك من أشياء هذا الكون الفسيح وما فيه من ظواهر وكائنات, وكل تشريع, وكل قصة, وكل واقعة تاريخية, وكل وسيلة تربوية, وكل نبوءة مستقبلية, كل ذلك يفيض بجلال الربوبية, ويتميز عن كل صياغة إنسانية ويشهد للقرآن بالتفرد كما يشهد بعجز الإنسان عن أن يأتي بشيء من مثله. وقد أفاض المتحدثون عن أوجه الإعجاز في كتاب الله، وكان منهم من رأي ذلك في جمال بيانه، ودقة نظمه، وكمال بلاغته، أو في روعة معانيه وشمولها واتساقها ودقة صياغتها، وقدرتها علي مخاطبة الناس علي اختلاف مداركهم وأزمانهم، وإشعاعها بجلال الربوبية في كل آية من آياته.

ومنهم من أدرك أن إعجاز القرآن في كمال تشريعه، ودقة تفاصيل ذلك التشريع وحكمته وشموله، أو في استعراضه الدقيق لمسيرة البشرية ولتاريخ عدد من الأمم السابقة من لدن أبينا آدم عليه السلام إلي خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى السلام، مما لم يكن يعلم تفاصيله أحد من الناس.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن الكريم في منهجه التربوي الفريد، وخصائصه النفسية السامية والعلمية في نفس الوقت، والثابتة على مر الأيام, أو في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشاراته إلي العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم

يكن معروفا لأحد من البشر وقت نزول القرآن ولا لمئات من السنين بعد ذلك النزول. ومنهم من رأى إعجاز القرآن في صموده علي مدي يزيد علي خمسة عشر قرنا لكل محاولات التحريف التي قامت بها قوى الشر المتعددة متمثلة في الكفرة والمشركين والملاحدة علي مدي تلك القرون العديدة .وذلك لأن الله تعالى تعهد بحفظه فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. ومن العلماء من يرى إعجاز القرآن في ذلك كله وفي غيره.

يقول جلال الدين السيوطي:(اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن.. فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشرة معشاره فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة، وقال آخرون: هو البيان والفصاحة، وقال آخرون هو الرصف والنظم، وقال آخرون: هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر عن أجناس خطابهم حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه، وقال آخرون :هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته، وقال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية، وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع، وقال آخرون: هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها)[2].

مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم

---

[1] – سورة الحجر : 9

[2] – الإتقان في علوم القرآن.

معنى الإعجاز لغة :مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر أعجز بمعنى الفوت والسبق[1]. ويقال أعجزني فلانٌ إذا عجزت عن طلبه وإدراكه .

والإعجاز القرآني مصطلح يدل على: قصور الإنس و الجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بسورةٍ من مثلهِ .

وإعجاز القرآن : يقصد به إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله. أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله. فبالإعجاز تنكشف قدرات الإنسان الضعيفة والمحدودة، وبه تثبت عدم استطاعتهم على الإتيان بالمعجزة أو مثلِها مهما تطورت الوسائل ومهما تقدم الزمن .وبناءً على هذا التعريف يرى أهل العلم أن إعجاز القرآن يُفيد من جهة، صِدق القرآن الكريم وكمالَه في الشكل والمضمون ومن جهة أخرى عجز العرب والأجيال من بعدهم عن نقد القرآن الكريم و تفنيده والإتيان بمثله.

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم :

لقد أكثر العلماء والدارسون من البحث عن وجوه إعجاز القرآن، وخلَّفوا تراثًا ضخمًا يشتمل على ما اهتدوا إليه من هذه الوجوه، منهم من زاد ومَن نقص، ومنهم من قصر جهده على البحث في الدرس القرآني؛ ليدمغ الحجج الواهية فيما يوجَّه إلى القرآن الكريم من شُبَه ومطاعن في ألفاظه ومعانيه، وأحكامه وإعجازه، ولم يزل القرآن حيًّا متجددًا يفوق طاقة الدارسين.

والمتتبع لوجوه الإعجاز وآراء العلماء فيها، يجد بعضها يتداخل أو يتقارب؛ فمثلاً من عدَّ غرابة الأسلوب وجهًا، والفصاحة وجهًا، والبلاغة وجهًا ثالثًا، والتأثير في السامعين

[1] – لسان العرب مادة عجز . مفردات الراغب الأصفهاني.

وجهًا رابعًا، نستطيع أن نجعل كل هذه الوجوه مما له علاقة بالأداء والبيان تحت وجه واحد، هو الإعجاز البياني، وقل مثل ذلك في الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة؛ إذ يجمعها الإعجاز الغيبي.

ونتناول في هذا المقام نماذج من وجوه الإعجاز التي ذكرها السابقون وتناولها اللاحقون على النحو التالي:

1 - الإعجاز البياني :

لقد حظي هذا النوع من الإعجاز بعناية كبيرة من لدن العلماء قديما وحديثا . فهذا ابن عطية الأندلسي (ت546 هـ) يقول ما نصه : إن الله قد أحاط بكل شيء علما, فإذا ترتبت اللفظة من القرآن, علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولي, وتبين المعني بعد المعني, ثم كذلك من أول القرآن إلي آخره, والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول, ومعلوم ضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك , فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة, وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك, والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط، ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا, ثم ينظر فيها فيغير منها, وهلم جرا, وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد.. وقامت الحجة على العالم بالعربية، إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة[1] . وهذا الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين يقول: إن الآيات القليلة من القرآن، ثم الآيات الكثيرة، ثم القران كله، أي ذلك

[1] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز::278/1 .

كان في تلاوته على سامعيه من العرب. الدليل الذي يطالبه بان يقطع بأن هذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر، وذلك من وجه واحد. هو وجه البيان والنظم[1].

وينتظم الأسلوب الفريد الذي يتميز به القرآن الكريم على سائر كلام البشر شعرًا ونثرًا، بانتقاء الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، وقد تواضع العرب قديمًا وحديثًا على أن للقرآن أسلوبًا خاصًّا به، مغايرًا لأساليب العرب في الكتابة والخطابة والتأليف، حتى كان من خصائص هذا الأسلوب الفريد تعمُّده الطريقة التصويرية في التعبير، والتناسق بين المدلول والعبارة، وارتفاع التفاوت في طبيعته الزاهية وثوبه القشيب، وتلك الخصائص الجديرة بالتأمل والتدبر؛ لذا جعلها الله منارًا على مصدر القرآن، ومَعْلمًا يُستدلُّ به على كونه من عند الله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[2]

2- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

وقد سلك القرآن الكريم في هذا الوجه طريقة الاستدلال على خالق الكون ومُنشئه استدلالاً فطريًّا، يتناسب مع جميع العقول والأفهام، فتحدثت آيُه عن كلِّ ما يحيط بالإنسان من عجائب هذا الكون، تحدث عن الأرض والسماء، والليل والنهار، والشمس والقمر، وعن الجبال والبحار، والرياح والنبات والحيوان، وعن الإنسان نفسه، ذلك الآدمي الذي يسخِّر تلك المخلوقاتِ فيما يزود به معاشه بقدرة الخالق الحكيم، كما أشار القرآنُ إلى حقائقَ أماط اللثام عن الحكمة من وجودها، أشار إلى حقائق تارة بالتلميح، وتارة بالتصريح، ومرة بالإجمال، وأخرى بالتفصيل، وهو بهذه الطريقة لا يخرج

---

[1] – تقديم لترجمته لكتاب الظاهرة القرآنية للمفكر الإسلامي الأستاذ مالك بن نبي يرحمه الله

[2] – سورة النساء: 82

عن هدفه الأساسي الذي هو هداية الناس إلى الصراط المستقيم، فليس القرآن كتاب كيمياء أو كتاب فَلَك وطبيعة، ولا ينبغي أن نتوقع منه أن يسوق لنا الحقائق العلمية مفصلة كاملة كما يفعل أي مرجع علمي مختص، ولكنه يسوق الآيات الدالة على وجود الله تعالى ، طالبًا التدبر والتفكر والإيمان :﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ *وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾[1] ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾[2] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[3]

فقد تحدث القرآن الكريم قبل خمسة عشر قرناً عن ظاهرة فيزيائية عجيبة، لا يمكن للبشر مشاهدتها بأم أعينهم، بل إن اكتشافها من قبل العلماء في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كان أقرب ما يكون للمعجزة؛ لكونها تحدث داخل البحار. هذه الظاهرة هي وجود حاجز، أو فاصل بين المياه المالحة والمياه العذبة عند التقائهما في مكان ما، هذا الحاجز يحول دون حركة كل من المائين باتجاه بعضهما البعض، فلا يمتزجان مع أن مستوى الماء العذب أعلى من مستوى الماء الملح . ورد الحديث عن هذه الظاهرة العجيبة في ثلاث آيات قرآنية هي:(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)[4] ، (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا

---

[1] – سورة فصلت :9 – 10

[2] – سورة يس :37

[3] – سورة فاطر :12

[4] – سورة الفرقان : 53

وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون[1]) ، (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) [2]

فقد ذهب علماء التفسير في تفسير البرخ مذهبين :

المذهب الأول :يرى أن الحاجز هو كيان مادي مشاهَد، وهو اليابسة التي تفصل ما بين البحار والأنهار؛ فتحول دون اختلاط المياه ببعضها البعض. وإلى هذا ذهب الحسن البصري من التابعين

.المذهب الثاني :يذهب إلى أن (البرزخ) هو حاجز معنوي –غير مادي– يمنع اختلاط مياه البحار المالحة مع مياه الأنهار العذبة عند منطقة التقائهما. وهذا رأي مجاهد واختيار الطبري. .

قال الطبري" :وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله :(وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) دون القول الذي قاله من قال معناه: إنه جعل بينهما حاجزاً من الأرض، أو من اليبس؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، و(المرج) هو الخلط في كلام العرب، فلو كان (البرزخ) الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضاً، أو يبساً، لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج،

---

[1] – سورة النمل : 61

[2] – سورة الرحمن : 19–20

ولا هناك من الأعجوبة ما يُنَبَّه عليه أهل الجهل به من الناس، ويُذَكَّرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيباً، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ[1]."

وحمل الآية على أن المراد بـ (الحاجز) حاجز معنوي، ينفي عن الآية وجه الإعجاز فيها؛ إذ الآية مساقة مساق بيان إعجازه سبحانه في خلقه، وبالغ قدرته في إيجاده. وكذلك فإنه لا يوجد وجه إعجاز واضح يفحم الكافرين بوجود الله عز وجل في كون اليابسة هي الفاصل الذي يفصل بين البحار والأنهار .

أما منتهى الإعجاز في الخلق، فهو أن تلتقي البحار المالحة مع البحار العذبة دون أن تختلط مياههما من خلال وجود هذا البرزخ العجيب .

فكلمة(مرج) التي وردت في هذه الآيات، تعني عملية الخلط أوالجمع بين مياه البحرين في مكان واحد. ومعلوم أن وجود (البرزخ) بين المياه العذبة والمياه المالحة معجزة كبرى من معجزات الله في هذا الكون؛ ولولاه لأصبحت حياة البشر وبقية الكائنات الحية في خطر؛ بسبب شح المياه العذبة على سطح الأرض.

وقد تحدث الدكتور راتب نابلوسي عن كثير من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم منها ما يتعلق بالغشاء العاقل للمرأة الحامل . إذ عقب الولادة ينزل مع الجنين قرص لحمي ، اسمه المشيمة ، في هذه المشيمة يوجد غشاء عاقل ، سماه الأطباء غشاءً عاقلاً لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء . المشيمة تجتمع فيها دورة دم الأم مع دورة دم الجنين ، ودم الجنين زمرة ودم الأم زمرة ، ولا يختلطان ، ومن بديهيات الطب أن الإنسان إذا أعطي دماً من زمرة غير زمرته لمات فوراً بانحلال الدم ، الشيء العجيب أن

[1] – جامع البيان في تأويل آي القرآن

دم الأم والجنين يجتمعان وبينهما الغشاء العاقل لا يختلطان ، يقوم هذا الغشاء بأعمال يعجز عنها العقلاء ، هي يد الله عز وجل ، ماذا يفعل هذا الغشاء ؟ يأخذ من دم الأم الأوكسجين يضعه في دم الجنين ، يأخذ من دم الأم السكر يضعه في دم الجنين ، يأخذ من دم الأم الأنسولين يضعه في دم الجنين، صار في دم الجنين سكر ، أوكسجين ، أنسولين ، يحترق السكر بالأوكسجين عن طريق الأنسولين فيولد طاقة ، الطفل حرارته في بطن أمه سبعة وثلاثين ، من أين جاءت هذه الحرارة ؟ من العملية المعقدة . الغشاء العاقل يأخذ عوامل المناعة من الأم يضعها في دم الجنين . فجميع الأمراض التي أصيبت بها الأم الجنين محصن أن يصاب بها.

3 - الإعجاز الغيبي :

ووجهه اشتمال القرآن الكريم على أنباء الغيب مما كان خافيًا على النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يشهد حوادثه ولم يحضر وقتها، ولم يكن على علم بتفصيلات تلك الحوادث، ولم يقرأ كتابًا في ذلك، ويدخل في هذا المفهوم كلُّ ما ورد في القرآن عن بداية نشأة الكون..، وما وقع وحدث منذ خلق الله السموات والأرض حتى بعث اللهُ في الأمِّيّين رسولاً، وما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن النبي – صلى الله عليه وسلم - في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي؛ كإخبار الله له بما يدبّره اليهود والمنافقون، ويشمل الأخبار عن الأحداث في مستقبل الزمان، وبالتالي يشمل غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل. فعن الأول يقول القرآن الكريم :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] . وعن الثاني يقول الله تعالى :﴿

[1] – سورة هود : 49.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1]. وعن غيب المستقبل يقول تعالى :﴿ الم *غُلِبَتِ الرُّومُ *فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ *فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وقد حدث ما أخبر به القرآن الكريم؛ فقد دارت رحى الحرب من بعد ذلك، وهُزِم الفُرس في بضع سنين، ولم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – ممن حضر هذه الحرب وعرَف سبب الغلبة[3].

4 - الإعجاز التّصويريّ

كما يُعرف بالإعجاز التّعبيريّ؛ فعند قراءة القرآن الكريم تتمثّل أمام العينيّن وفي المُخيلة مشاهد حيّة ومتحركة للأحداث التي تسردها الآيات من قِصص الأنبياء، والصّالحين، وهلاك الأُمم الكافرة، والجنّة والنّار، وغيرها. كقوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)[4] .لقد انتشر الخبر في المجتمع، وصار مادة دسمة بين الجهات المختلفة، خاصة تلك التي لا شغل لها إلا اختراع مغامرات المراهقة في الطبقات المترفة.. انتشر الخبر، فتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في بقاع هذه المدينة من مصر، وشاع من أمرهما فيها ما كان، فلم ينكتم، وقلن:(امْرَأَتُ

---

[1] – سورة المجادلة : 8

[2] – سورة الروم : 1–4

[3] – رسالة إعجاز القرآن؛ للدكتور مصطفى مسلم، ص271، 272، 277، 277 .

[4] – سورة يوسف : 30

الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) وانظر هنا لدقة التعبير وما يخفيه من مكر كل طرف حسير: وصفن المرأة المتكَلم عنها بأنها (امْرَأَتُ الْعَزِيزِ) لم يسمينها باسمها، بل بالإضافة إلى زوجها إرادة لإشاعة الخبر؛ لأن النفس إلى سماع أخبار ذوي المكانات أميل، ولإظهار زيادة الاستنكار حيث إن هذه المذكورة هي امرأة عزيز مصر، والعزيز: المنيع بقدرته من أن يضام، فالعزة أخص من مطلق القدرة. وقلن(تُرَاوِدُ) بالمضارع دلالةً على استمرارها، ولم يقلن: راودت، فهن يتفكهن بشعورهن أن الأمر ما زال يتكرر. وحكى الله تعالى عنهن أنهن قلن(فَتَاهَا) تهكماً منهن لتفاوت سنها وسنه، فعلى الرغم من أنها أكبر منه إلا أنها ما زالت تصر على مراودة فتى أصغر منها، هو بمنزلة خادمها. ثم حكى الله تعالى عنهن أنهن قيدن المراودة له بأنها (عَنْ نَفْسِهِ) وهو تحديد شديد لمرادها ثم لفضولهن وتلهفهن، فهن يردن أن يرين هذا الجسد الذي شغل عقلها وقلبها فشغل عقولهن وقلوبهن. إذن فقول الله تعالى حكاية عنهن :(امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) هو تعَجب وإنكار صورِي من جهات أربع :

الجهة الأولى :كون المتحدَّث عنها امرأة عَزِيزِ مصر، وزِير الملك الأكبر في علو مركزها.

الجهة الثانية :كونها تهين نفسها وتحقر مركزها بأن تكون مُرَاوِدَة لرجل عن نفسه، وشأن مثلهَا –إن سخت بعفتها– أن تكون مُرَاوَدَة عن نفسها، لا مُرَاوِدة لغيرها.

الجهة الثالثة :أن الذي تراوده عن نفسه هو فتاها ورقيقها.

الجهة الرابعة :أنهَا بعد أن افتضح أمرها، وعرف به سيدها وزوجها، وعاملها بالحلم، وأمرها باستغفارِ ربها، لا تزال مصرة على ذنبِهَا، مستمرةً على مراودتها، وهو ما أفاده قَولهن: (تراود) وهو فعل مضارِع .

5 - الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

هو إثباتُ عَجْز البشر جميعًا عن الإتيان بِمثل ما جاء به القُرآن من تشريعاتٍ وأحكام، تَتَعلَّق بالفرد والأُسْرة والمجتمع في كافَّة المجالات.

وليس المُرادُ من الإعجاز التَّشريعي هو مُجرد إثبات الإعجاز، وإنَّما المُراد منه لازمه، وهو إثْبات صِدْق النَّبي صلَّى الله عليه وسلم وبيان كون القُرآن من عند الله عَزَّ وجل : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]

إنَّه من الأدلَّة الدَّامغة، والبراهين القاطعة على الإعجاز التَّشريعي في القرآن – اشتمالُ القُرآن المجيد نفسه على المَقاصد الأساسيَّة، والقواعد الكُلِّية للشريعة الإلهيَّة، التي تُنظِّم كلَّ شؤون الحياة، وفي الوقت نفسه تُحقِّقُ العَدْل التَّام بين الجميع، بقطع النظر عن الانتماءات الدينية أو العرقية أو غيرها، وهذا بالقطع لا يدخلُ تَحت استطاعة أحد من البشر كائنًا من كان.

ومِمَّا يدُلُّ أيضًا على الإعجاز التشريعي في القرآن: أنَّ العرب كانوا أمَّة أمِّية لم تكن لهم ثقافة، ولم يكونوا يعرفون إلاَّ التَّحاكم إلى العِرْق القبليّ وقتَ نُزُول القرآن المجيد على النَّبي صلَّى الله عليه وسلم فهذا ولا رَيب هو الإعجاز ذاته. ذلك أنَّه من الأُمُور البدهيَّة عند عُلماء القانون والاجتماع، أنَّ آخر ما يُتوَّج به تقدُّم أي أمة من الأمم هو تكامُل البيئة القانونيَّة والتشريعيَّة في حياتها. إذًا فظُهُور قانون مُتكامل في أمَّة من الأمم، هو الذِّروةُ العُليا لتقدمها الحضاري، وليس العكس؛ إذ إنَّ الأمَّة التي لم تتقدم حضاريًّا، أو التي ما تزال تعيش في طَوْر البداوة، ليس في حياتها من التعقيد الاجتماعي ما يُشعر بالحاجة إلى وَضْع قانون عام، ولكنَّها تشعرُ بذلك كلَّما تقدمت حضاريًّا، وازداد تركيبُها

---

[1] – سورة فصلت : 42

الاجتماعي تعقيدًا. إلاَّ أن الذي ظهر في الجزيرة العربيَّة قبل أربعةَ عَشَرَ قرنًا من الزمان، كان عكس هذا القانون البَدَهي تمامًا، فقد ظهر فجأة بين تلك الجماعات البدائيَّة قانون متكامل، يتناول الحقوق المدنية، والأحوال الشخصية، ويرسم صُورة للعلاقات الدَّوليَّة، ويضع نظامَ الحرب والسلم، ويضع نظامًا للعلاقات الماليَّة والسياسيَّة وهكذا، تشريعٌ مُتكامل لا يَترك من أُمُور الحياة صغيرة ولا كبيرة إلاَّ عالجَها وقنَّن لها، هذا في الوقت الذي كان فيه عَرَب الجزيرة لا يعرفون شيئًا عن معنى المجتمع الذي يحتاج إلى قانون، فلم يأْخُذُوا بنصيبٍ وافر من العلم أو الحضارة، مِمَّا يعد خُطُوات أساسية لا بُدَّ من اجتيازها قَبْل وضع القانون العام[1]؛ فهذا التشريع الذي اشتمل عليه القرآن المَجيد وَجْه من وُجُوه إعجازه التي لا تُحدُّ، وهو الذي جعل من المسلمين الأوائل أُمَّة لا نظيرَ لها في التاريخ، فقام المجتمع المِثالي، وأقيمت المدينة الفاضلة التي طالما خامَرَت عُقُول كثير من المُفكِّرين والمُصلحين على مَدَى تاريخ البشريَّة الطويل[2].

[1] – المعجزة والإعجاز في القرآن، د/سعد الدين صالح،: 219 – 220

[2] – إعجاز القرآن؛ للخطابي :7.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

– إتقان البرهان في علوم القرآن، للدكتور فضل حسن عباسي . ط دار الفرقان عمان – الأردن 1997م.

– الإتقان في علوم القرآن للسيوطي..مؤسسة الرسالة,بيروت–لبنان,الطبعة الأولى,بتحقيق:مصطفى شيخ مصطفى.

– أثر اختلاف العلماء في تخصيص العموم بسبب وروده دراسة وتطبيق على قسم العبادات تأليف علي منصور عطية. رسالة ماجستير.

– الإحكام في أصول الأحكام للآمدي. المكتبة الإسلامية – دمشق

– أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص د. عماد الدين محمد الرشيد . رسالة دكتوراة .

– إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني .تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق . الناشر دار الكتاب العربي.ط 1 / 1999

– أصول الفقه للعربي اللوه . مطبعة الخليج العربي بتطوان. 2007.

– أصول التشريع الاسلامي. الشيخ علي حسب الله. دار المعارف مصر . ط 2 / 1959 .

– إعجاز القرآن؛ للخطابي تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر : دار المعارف بمصر.

– البرهان في علوم القرآن للزركشي. دار الحديث,القاهرة–مصر,سنة النشر:1427–2006,بتحقيق:أبي الفضل الدمياطي

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت 310هـ). دار هجر,القاهرة–مصر,الطبعة الأولى.

– جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر . تحقيق أبو الأشبال الزهيري. الناشر : دار ابن الجوزي – الدمام. 1994 .

– حقائق وشبهات حول معنى النسخ في القرآن الكريم . الدكتور محمد عمارة..دار السلام..ط : 2010

2001/1422,بتحقيق:الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

– التبصرة في أصول الفقه للشيرازي. تحقيق محمد حسن هيتو. دار القلم . دمشق. ط 1 / 1403 .

– التعريفات للجرجاني . ط دار الكتاب العربي بيروت 1992.

– تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني.دار الكتب العلمية

– تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

– صحيح البخاري تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة . بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، 1422

– صحيح مسلم تحقيق نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة الناشر: دار طيبة سنة النشر: 1427 – 2006

– المعجزة والإعجاز في القرآن، د/سعد الدين صالح . دار المعارف. ط 1 . 1998 .

– شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية . تأليف الدكتور مساعد بن سليمان الطيار. دار ابن الجوزي .

– دراسات في علوم القرآن المؤلف :محمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ) الناشر : دار المنار الطبعة :الثانية 1419هـ–1999م

– العدة محمد بن اسماعيل الصنعاني . المكتبة السلفية بالقاهرة – مصر.

– العقد المنظوم في الخصوص والعموم لشهاب الدين القرافي. دار الكتب.

– فقه الجهاد. للشيخ القرضاوي. مكتبة وهبة – القاهرة . 2010 .

– قواعد الترجيح عند المفسرين – دراسة نظرية تطبيقية– الدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي ، راجعه وقدم له الشيخ مناع القطان . دار القاسم الرياض .

– قواعد التفسير جمعا ودراسة للدكتور خالد بن عثمان السبت . دار ابن عفان.

– قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني . تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي.دار الكتب العلمية . بيروت. ط1 / 1999

– كتاب الناسخ والمنسوخ لابن العربي المعافري تحقيق عبد الكبير المدغري. مكتبة الثقافة الدينية .

– كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.. طبعة الهند.

– كيف نتعامل مع القرآن لمحمد الغزالي. دار نهضة مصر. ط 1 / 1954 .

– لسان العرب لابن منظور. دار صادر . بيروت. ط2 / 1414 .

– اللمع في أصول الفقه للشيرازي. دار الكتب العلمية . ط 2 / 2003

– مباحث في إعجاز القرآن؛ للدكتور مصطفى مسلم . دار المسلم . ط 2 . 1996

.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت 542 هـ). طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بالمغرب، ثم طبع بدولة قطر بتحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، الطبعة الأولى 1402هـ- 1982م.

- المحرر في علوم القرآن . د مساعد بن سليمان الطيار ص138. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

- مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. ط دار القلم بيروت.

- المستصفى في علم الأصول . للإمام الغزالي .دار الكتب العلمية – بيروت

- معجم مقاييس اللغة لابن فارس. تحقيق : بد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. 1979 .

- مفردات الراغب الأصفهاني تحقيق صفوان عدنان الداودي . دار القلم . بيروت.ط 1 / 1412.

- مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني ،دارالفكر.بيروت الطبعة الأولى : 1996

- المهذب في علم أصول الفقه المقارن . عبد الكريم بن علي بن محمد النملة. الناشر :مكتبة الرشد . الرياض. ط 1 / 1999

- الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي . عبد العال محمد الجبري . مكتبة وهبة ط 2 / 1987

- الناسخ والمنسوخ للنحاس تحقيق د. محمد عبد السلام محمد. مكتبة الفلاح. الكويت . ط 1 / 1408 .

– نحو موقف قرآني من النسخ . طه جابر العلواني. مؤسسة الشروق الدولية 2007

.

– نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه في القرآن . طه جابر العلواني
– النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز . دار الثقافة ، قطر الدوحة. 1985 ..
– نكت الانتصار لنقل القرآن، ط مكتبة نشأة المعارف بالإسكندرية

فهرس الموضوعات

تمهيد

مفهوم علوم القرآن

تعريف العلوم

تعريف القرآن في اللغة
تعريف القرآن في الاصطلاح
أسماء القرآن الكريم وأوصافه
الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي
الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي
الفرق بين القرآن الكريم والمصحف
التعريف الاصطلاحي لعلوم القرآن الكريم
نشأة علوم القرآن وتطورها
الوحي : تعريفه وأنواعه
جمع القرآن وتدوينه
المكي والمدني في القرآن الكريم
أسباب النزول
المحكم والمتشابه في القرآن الكريم
النسخ في القرآن الكريم
إعجاز القرآن الكريم
فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات